تنبيه

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

نظرات في إصلاح التعليم

د. عبد الرحيم الرحموني ص 16

قاعدة اجتماع الحلال والحرام وتطبيقاتها

د. محمد الروكي ص 5

المحجة

جامعة نصف شهرية

المدير المؤسس
المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

العدد: 408

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

14 محرم الحرام 1435هـ - 18 نونبر 2013م

2

3 دراهم

افتتاحية

التنازع في اتباع سبيل الرشاد

الإنسان بفِطرته التي فطره الله عليها يأبى سبيل الضلال والانحراف، ويحبّ -ولو في دواخله- السبيل السوي النقي المستقيم، ولذلك جاءت الرسل لإحياء هذه الفطرة وتزكيتها، مويَّدة في ذلك بالوحي الصريح، وناطقة بالبيان الفصيح، أن سبيل الرشاد والفلاح هو سبيل الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن سار على هديهم من الدعاة والمؤمنين الصادقين الصابرين.

فهذا مؤمن آل فرعون الذي اقتنع بدعوة النبي موسى عليه السلام، ينادي قومه ناصحا مقتديا بالنبي المرسل : ﴿يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد﴾(غافر : 38) ثم يذكرهم بأن هذه الدار فانية وأن الآخرة هي الباقية فيقول :﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾(غافر : 39) وبالطريقة ذاتها يدْعو معاذ بن جبل رضي الله عنه أهل اليمن حينما قدم إليهم فيقول مستلهما ما ورد في أول خطبة خطبها رسول الله في أهل مكة : «ألا إني رسُولُ رسول الله إليكم فاتبعوني أهْدِكم سبيلَ الرشاد، وإنما هو الله وحده، والجنة والنار، إقامة ولا ظعن، وخلود ولا موت»(مسند الشاشي رقم الحديث 1333).

وإذا كان الرشاد هو السبيل الذي يدعو إليه الرسل والأنبياء وورثتهم من العلماء والدعاة، فإن دعْوة الشياطين ومن تبعهم من الطغاة الضالين والمرَدة الغاوين، لابُدّ أن تكون دعوتهم إلى سبل الغيّ والضّلال. لكنهم يأنفون من أن تكون دعوتهم كذلك، ولذلك صرح رائدُهم في هذا الباب فرعون وهو يحاجج موسى عليه السلام وينبه قومه بأنه هو المنقذ لهم من الضلال فقال بكل استكبار وتجبُّر ﴿ماأُريكُم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرّشاد﴾(غافر : 29).

وبتغيير فرعون لمفهومي الرشاد والغي، بتغيير المصطلحين الدالين عليهما بشكل صحيح مَهَّد الطريق لفوضى المفاهيم، وخاصة في مجال الإصلاح والبناء، حتى إن المنافقين أنفسهم تبنوا نفس المنطق كما يظهر من قول الله تعالى عنهم : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الا رض قالوا إنما نحن مصلحون﴾(البقرة : 10).

ومع مرور الزمن، وكثرة الفساد في الأرض طغى اللعب بالمفاهيم ومصطلحاتها، وخاصة مع تطور وسائل الإعلام، فأصبح العديد من المفاهيم مقلوبة الدلالة مع قلب التعابير الدالة عليها، ومن ثم غدا الالتزام بتعاليم الدين تزمتا، والحياءُ عقدة، والسِّتر -وخاصة بالنسبة للنساء- تخلفا، في حين أصبح الإقبال على المحرمات تفتّحاً، وتقليدُ المستعمر تحضُّراً، وهكذا.

إن معركة المصطلحات معركة حضارية بالدرجة الأولى إذ باستقامتها يتبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال والصلاح من الفساد والحق من الباطل والتقدم من التخلف والبناء من الهدم.

فيا ليت الناس ينتبهون إلى الأمر، ويدركون أن إدراك الحقيقة مبنيٌّ على إدراك حقيقة المفاهيم، التي هي الأخرى مبنية على الاستعمال السليم للمصطلحات والألفاظ.

الدكتور الشاهد البوشيخي

في افتتاح الجامعة العالمية المفتوحة للدراسات المصطلحية :

المسألة المصطلحية مفتاح الإقلاع ومحرك التجديد

ص 8

التنوير الإسلامي وحرب التحريف المصطلحي

د. الطيب الوزاني ——— 2

تفريط المغاربة بعد الاستقلال في اللغة العربية

العلامة المختار السوسي ——— 14

التطاول على لغة القرآن الكريم

د. عبد المجيد بنمسعود ——— 11

البقية ص : 2

التنوير الإسلامي وحرب التحريف المصطلحي

د. الطيب الوزاني

يعيش العالم الإسلامي اليوم صراعا محموما بين فكرتين متباينتين تمثل إحداهما الحق الذي ارتضاه الله عز وجل وهو نور الإسلام وهداه، والثانية جاءت عبر الاستعمار الأوروبي والعولمة الجديدة والتي تمثل الدعوة إلى المشروع الغربي تحت مسمى التنوير والتحرير، ولبست هذه الدعوة التغريبية لبوس المسميات الشرعية وحرفتها عن مقاصدها الشرعية.

وفي هذا السياق نجد الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صراعا ساحته التصورات وأدواته المصطلحات والمفاهيم ومنها مفهوم التنوير.

فما هو التنوير الإسلامي؟ وما هو التنوير الغربي؟ وكيف انتقل إلينا؟

أولا في التنوير الإسلامي :

وصف الباري جل وعلى وحيه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام بأوصاف دالة على ما فيها من الخير والمقاصد الحسنة للناس، منها تمثيلا لا حصرا:

الوحي روح وحياة قال جل جلاله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا منْ امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (الشورى:52)، وقال تعالى : ﴿أومن كان ميتا فأحييناه، جعلنا له نورا يمشي به في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾(الأنعام:122)

والوحي ميزان وفرقان قال سبحانه تعالى ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾(الفرقان:1)، وقال جل شأنه : ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾(الحديد:24)

والوحي نور وهدى، قال عز وجل: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وأنزلنا إليكم نورا، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه، وفضل، ويهديهم إليه صراطا مستقيما﴾(النساء :174- 175)، كما بين الله جلت حكمته وظيفة الوحي وغاياته النبيلة ومقاصده هداية الناس إلى الخير وإخراجهم من الظلمات إلى النور: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾(إبراهيم: 1)، وقد مثل الباري تعالى حال عباده الذين اهتدوا بهدي الوحي واستناروا بنوره، وحال عباده الذين ضلوا الطريق وأبوا إلا السير في الظلمات بمثل الأعمى والبصير فقال جلت حكمته: ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور" (الرعد:16) ﴿وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور﴾(فاطر:20).

وبعد أن ختم ربنا جل وعلا النبوة والرسالة وصف رسوله بالسراج المنير، فقال جل وعلى: ﴿يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى بإذنه وسراجا منيرا﴾(الأحزاب 46)، وحصر سبحانه الاتباع فيه لأن النور الذي أنزل معه هو النور الحق والكامل الذي ستستضيء به البشرية وتستنير إلى يوم القيامة في جميع شؤون الحياة الدنيوية والأخروية.

وعلى هذا فرسالة الإسلام رسالة نور وتبليغها إلى الناس هو التنوير الحق، ولقد حمل المسلمون رسالة التنوير الإسلامي للعالم وحملوا سراج العلم والحضارة قرونا طوالا كانت البشرية في الغرب (أوروبا) وفي الشرق (الصين والهند وما جاورهما) تعيش في ظلام مطبق وجهل محقق، وامتد نور الإسلام ينير طريق الإنسان في الأنفس والآفاق ويحرر الشعوب من ويلات الظلم والاستعباد المادي والمعنوي، وقد أسس المسلمون حضارة عميقة الجذور في الأخلاق والقوانين، وفي العلوم والفنون ونظم الحكم السياسي والعمران البشري انطلقت من نور الإسلام وهديه؛ نورا استنارت به البشرية ردحا من الزمن ولم تستطع الحملات الصليبية والغزو المغولي والتتري أن يمنع شعاع النور الإسلامي من أي يظل ساطعا.

ثانيا في التنوير الغربي وسياقاته :

كانت بداية التنوير الغربي مع سقوط الأندلس في الغرب الإسلامي ونهوض أوروبا على نمط جديد من التقدم العلمي المادي الذي جاء نتيجة للصراع والحرب على الدين والفصل بين الدين والعلم، وبين الدين والسياسة نتيجة لما عانته الشعوب الأوروبية من ظلم الكنيسة ورجال الدين فيها الذين حرفوا كلام الله تعالى المنزل في الإنجيل، وقد سمى الأوروبيون لحظة انتصار النزعات المادية والإلحادية على الدين الكنسي بعصر الأنوار والتنوير إحساسا منهم بالتخلص من ظلم الكنيسة والخروج فعلا من عصر الظلمات إلى عصر النور.

وقد أسس مفكرو أوروبا التنوير على أسس مادية علمانية وإلحادية تقوم أولا على رفض كل ما هو ديني ومعاداته، والدعوة إلى التحرر في معاملاتهم وسلوكاتهم وتفكيرهم من كل ما هو ديني ورفض الأحكام الشرعية والأخلاق التي يدعو إليها الدين أي دين كان، وصار التنويري الحق هو من كان أقدر وأجرأ على الخروج من الدين إلى اتباع ما يمليه عليه هواه ورغبته ومصلحته، فصار الدين ممقوتا ورجعيا ويمثل الظلام بعد أن كان يمثل النور.

ثالثا في سياق انتقال التنوير الأوروبي إلى العالم الإسلامي:

مع استقواء أوروبا وتفوقها العالمي على العالم - ومن جملته العالم الإسلامي - انطلقت في حملتها الاستعمارية التي كانت أظلم وأطغى - إلى تصدير التنوير الذي ظهر فيها إلى بقية العالم، وزحف الاستعمار على الدول الضعيفة بالتشكيك في معتقداتها وإمكاناتها الحضارية ومحو خصوصياتها وتغريبها، فتحول مفهوم الاستعمار إلى مفهوم سلبي يعني التخريب، وصار الاستعباد الجديد نوعا من التحرير، وغدا محو الخصوصيات الدينية للشعوب شكلا متقدما من أشكال التنوير، كما أصبح كل مروق عن الدين والأخلاق تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا حرية وحقا من حقوق الإنسان.

ولقد انتقلت معركة المفاهيم والمصطلحات إلى العالم الإسلامي الذي عانى أكثر من غيره من وطأة المعركة وأصبح دعاة التنوير في العالم الإسلامي أكبر مقلدة العصر وخير من يعول عليه في الحرب بالوكالة في نقل المعركة من أوروبا إلى العالم الإسلامي من غير مراعاة للخصوصيات، فانتقل مفهوم التنوير الأوروبي بنفس حمولاته الإيديولوجية وسياقاته التاريخية وتم تنزيله على الواقع الإسلامي تنزيلا فوقيا وبقوة السلطان المحلي والعالمي، وأريد له أن يحل محل التنوير الإسلامي الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده من الناس كل الناس، وأصبحت العولمة اليوم بمفاهيمها الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية تفرض التنوير الغربي على الشعوب فرضا متعدد الأشكال والألوان وتحت أغطية مفهومية جديدة براقة تخفي وراءها الحرب على كلمات الله وألفاظ الشرع.

إن التنوير الذي يروج له حاملو الفكر الغربي في بلداننا يحمل نفس أسس ومبادئ التنوير الأوروبي الذي يسعى إلى بسط هيمنته المطلقة على العالم الإسلامي وطمس نور الوحي وما انبثق عنه من اجتهادات مستضيئة بضوئه ومستنيرة بنوره.

رابعا بين التنوير الإسلامي والتنوير الغربي معركة مفاهيم:

إن التنوير الغربي المنقول إلينا يتبنى نفس المفاهيم الإسلامية التي جاء بها الإسلام ويفرغها من مضمونها الإسلامي الإنساني ويلبسها ألبسة جديدة مخالفة لما قصد منها شرعا:

فالتنوير الإسلامي هو إخراج الناس من ظلمات الشرك والإلحاد، والتنوير الغربي هو إخراج الناس من الدين (الذي هو في اعتقادهم ظلمات) إلى حرية الاعتقاد والإلحاد واتباع الشهوات.

والتنوير الإسلامي هو تحرير الإنسان من كل السلط والعادات والتقاليد والإيديولوجيات المكبلة للعقل من التحرر والانطلاق نحو آفاق الاستخلاف الحر والمسؤول، والتنوير الغربي عند مقلدتنا من أتباع الفكر الغربي هو ادعاء تحرير الإنسان بربطه بالمادة وتحريره من قيود الشرع وإطلاق العنان لشهوات الاستهلاك وغرائز الجنس، ودعوى التحرر الفكري بإيهام الناس بالحرية الفكرية التي ليست إلا تقليدا لإحدى الإيديولوجيات الغربية والترويج لها.

والتنوير الإسلامي دعوة إلى إعمال العقل وفق هدايات الوحي من أجل خدمة الإنسان وتعزيز قدراته على العمران البشري الصالح والاستخلاف الإنساني العادل، أما التنوير المبشر به عندنا فهو دعوة إلى استقلال العقل عن هدايات الله ونوره، ودعوة إلى فصل العلم عن الدين والأخلاق، وادعاء ركوب سفينة التقدم من غير مصابيح الدين المنيرة في ظلمات البر والبحر والجو.

وعموما فإن التنوير الذي حمل إلينا عبر دبابات الاستعمار وأقلام الغزو والمحو الثقافي ولا يزال يفرض على الأمة بأشكال من القوة السياسية والقانونية والاقتصادية والإعلامية والتعليمية من الداخل والخارج وبشكل أعنف، وتنفق في سبيله أموال الأمة نفسها، ويجند لها أبناء الأمة أنفسهم، وقد أخبر سبحانه في الهدى القرآني المبين عن هذه الحال من الاجتماع على محاربة كلمة الله فقال جل شأنه: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى ربهم يحشرون﴾(الأنفال: 36) بل أخبر الله عز وجل في موطن آخر أن سعيهم هذا هو بقصد إطفاء نور الله، فقال تعالى: ﴿يريدون أي يطفئوا نورا الله والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾(الصف: 8)

وأخيرا متى يعي دعاة التنوير الغربي أنهم يعاكسون إرادة الله تعالى؟ ومتى يَعُون أنهم إنما يدعون إلى ظلامية جديدة؟ ومتى يستعيدون وعيهم بذاتهم الحضارية وأنهم يعملون على نسف ذاتهم وإذابتها في ذات أخرى؟ ومتى يعون أنهم إنما يعملون على تعميق تبعية الأمة تحت مصطلحات خادعة؟

ومن جهة أخرى فمتى يعي دعاة الإسلام أنهم على الحق المبين وأن ما يدعون إليه هو التنوير الحق؟ ومتى يعي دعاتنا أن كل فكرة لا تقوى ولا يكتب لها التمكين إلا بقوة أهلها وقوة إيمانهم بقضيتهم وعدالتها؟ لذا قال تعالى: ﴿ فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مومنين﴾(آل عمران :139)

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

خبراء: حكومة الببلاوي تغرِق البلاد بالديون وتعرض مصر للخطر

فقد قالت وزارة المالية المصرية يوم الخميس 14 نونبر: إن الديون المحلية ارتفعت بقيمة 61 مليار جنيه خلال الفترة من يوليو وحتى نهاية سبتمبر من العام الجاري لتسجل قيمتها الإجمالية نحو تريليون و506 مليار جنيه مقارنة بنحو تريليون و7.445 مليار جنيه فى نهاية يونيه الماضي.

كما ارتفع الدين الخارجى ليسجل 2.43 مليار دولار فى نهاية يونيه، وبإضافة 6 مليارات دولار عبارة عن ودائع وقروض حصلت عليها مصر من السعودية والإمارات والكويت، وبهذا فإن القيمة الإجمالية للديون الخارجية بنهاية سبتمبر ستقترب من الـ 50 مليار دولار بما يعادل 350 مليار جنيه (سعر الدولار 88.6 جنيهًا).

واعتبر خبراء اقتصاد أن ارتفاع الديون المحلية إلى هذا الحدّ يزيد المخاطر على الاقتصاد المحلى ويزيد ضغوط سداد الأقساط والفوائد في السنوات المقبلة، ويطيل حالة عدم الاستقرار كنتيجة طبيعية لعدم قدرة الحكومة على الوفاء بالتزاماتها تجاه المواطنين؛ وذلك لأن الفوائد والأقساط ستلتهم جزءًا كبيرًا من الموازنة العامة.

وقال عبدالسلام أبوضيف، الخبير الاقتصادى: "إن ارتفاع الدين المحلى لهذا الحد ينذر بكارثة؛ لأن الحكومة بهذه الصورة لن تستطيع الوفاء بالتزاماتها تجاه الشعب وستدفع ما يقرب من ثلث الموازنة العامة لسداد أقساط الديون".

ألمانيا: السماح للمسلمات بالعمل في الدوائر الحكومية بحجابهن

أصدرت المحكمة الإدارية في مدينة "دوسيلدوف" في ولاية "ران فستيفاليا" الألمانية قرارًا يتعلق بإمكانية عمل المسلمات في المؤسسات والدوائر الحكومية بحجابهن، جاء قرار المحكمة هذا بناءً على شكوى تقدمت بها سيدة محجبة تم رفضها حينما تقدمت للعمل في إحدى الدوائر التابعة للدولة في مدينة "ميتمان".

ويشمل القرار المعلمات العاملات في المؤسسات التعليمية، وأكد على أن القرار ساري تطبيقه على جميع الأشخاص العاملين في المؤسسات الحكومية والقطاع العام.

وصرح "أوغوز أتشونجو" -الأمين العام لجمعية الرؤية القومية للمجتمع الإسلامي- أنهم استقبلوا هذا القرار بسرور.

ماليزيا: إنشاء صندوق للتعليم الإسلامي لدعم الطلاب المتفوقين

أعلنت "جمعية صباح الإسلامية المتحدة" في "ماليزيا" عن عزمها إنشاء صندوق للتعليم الإسلامي لمساعدة الطلاب المسلمين من قاطني المناطق النائية، الذين يحققون نتائج متقدمة في دراستهم.

وأكد "تون سكران دنداي" -مدير الجمعية- أنه يوجد العديد من أعضاء المجلس الذين ينفذون الاقتراح، وأنه سيتم جمع التبرعات والمساهمات لمساعدة الطلبة الذين يحتاجون للدعم، بالتعاون مع المنظمات الإسلامية الأخرى والجمعيات غير الحكومية.

العثور على مخطوط قرآني عمره أكثر من ألف عام

عثر في مستودع تحت أحد المساجد القديمة في بلدة "بودروم" السياحية التركية التابعة لمدينة "موغلا" جنوب غرب تركيا على نسخة من القرآن الكريم مكتوبة بخط اليد يعود تاريخها إلى ما قبل نحو 1200 عام.

وقد أشار إمام المسجد "يوكسل كيليج أصلان" إلى أنهم كانوا يجرون صيانة للمسجد، وأثناء عملهم عثروا على نسخة من القرآن الكريم مخطوطة بخط اليد وملفوفة بأقمشة مهترئة، إلى جانب كتب أخرى، من بينها كتب تفسير، فقاموا على الفور بتسليمها لإدارة الإفتاء في المدينة لاتخاذ اللازم.

وعقب تسلم إدارة الإفتاء للمخطوطة القرآنية تم نقلها إلى متحف المدينة من أجل الاحتفاظ بها وإجراء التحقيقات والإجراءات اللازمة لمعرفة التاريخ الحقيقي الذي تعود إليه هذه النسخة من القرآن الكريم.

زعيم حزب اليمين المجري: الإسلام هو الأمل الأخير للإنسانية

قام زعيم حزب اليمين المتطرف الهنغاري "جوبيك غابور" برحلة إلى "تركيا"، وزار خلالها بعض الجامعات التركية.

وأوضح "غابور" أنه لم يأت إلى "تركيا" من أجل بناء علاقات دبلوماسية واقتصادية، ولكن من أجل مقابلة الأخوة والأخوات التركيين.

ومن جهته، أكد "غابور" أن حزبه ليس لديه أي علاقة مع الأحزاب اليمينية المتطرفة الأوروبية المعادية للإسلام.

وكرر "غابور" ما قاله من قبل مرارًا: الإسلام هو الأمل الأخير للإنسانية في ظلمات العولمة والليبرالية.

وأكد "غابور" أن حياته الشخصية تتأثر بالإسلام والمسلمين كلما يلتقي بالأصدقاء والزملاء؛

صحتك

عادات صحية يومية سيئة

■ **عادة شرب الشاي بعد الغداء:**
تعود الناس أن يشربوا الشاي بعد تناول وجبة الغداء مباشرة والصواب أن يشرب بعد ساعتين من الأكل ، وينصح بتجنب شربه في الليل لما فيه من مادة الكافيين المسببه للأرق

■ **تكرار استخدام الزيت المقلي:**
يلجا كثير من السيدات إلى تكرار استعمال الزيت المقلي لمرات عديدة والصواب استخدامه مرة واحدة لما يحدث للزيت من أكسدة تسبب الأمراض السرطانية

■ **عادة الوجبات الليليّة:**
تعود كثير من الناس الذين يسهرون ليلا على تناول وجبات ليلا والصواب تناول الطعام قبل العاشرة ليلا لأن التأخر في تناول الطعام يعرض للبدانة والسمنة لما يسببه من اختلال التوازن الهرموني وإفراز كمّيّة كبيرة من هرمون +الجرلين؛ الذي يولد الشعور بالجوع.

■ **عادة تنظيف الأذن يوميّاً:**
يعمد بعض الناس إلى تنظيف الأذن يوميّاً مما قد يدفع إلى تجمّع الشمع في الداخل وتصلّبه، يسبّب ضعفاً في السمع وطنيناً مستمرّاً وآلاماً شديدة.
والصواب أن الأذن بطبيعتها تحتوي شعيرات وزيوتا طبيعيّة تقوم باستخراج الشمع تلقائيّاً. فإذا أراد المرء تنظيفها بعد الاستحمام، فليمسح بقطنة دائريّة خارج الأذن وداخلها برفق.

■ **استخدام الكومبيوتر لفترات طويلة:**
عادة الجلوس على الكومبيوتر لفترات طويلة، سواء في العمل أو في البيت، لمتابعة شبكة التواصل الاجتماعي أو الترفيه على اليوتيوب، قد تتسبّب في آلام في الظهر والفقرات. وكلّما زاد عدد الساعات، زاد معه الألم ومشاكل أخرى مثل الأرق وتشنّجات في الذراعين وحرقة في العين.
والصواب أن يلجأ المرء إلى التمارين الرياضيّة الخاصّة بجلسة الكومبيوتر، وأن يغير مكانه ويمشي عشر دقائق كلّ ساعة من الجلوس.

إتحاد علماء المسلمين يدعو إلى جمعة نصرة القدس يوم 22 نونبر الجاري

دعا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى جعل يوم الجمعة 22 نوفمبر الجاري يومًا لنصرة القدس والأقصى، وطالب الفلسطينيين بالرباط في المسجد الأقصى لحمايته من "المخطط الإسرائيلي الساعي لتقسيمه بين اليهود والمسلمين..

ووجه الاتحاد نداء خاصا في بيان أصدره اليوم إلى كل من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، والعاهل المغربي الملك محمد السادس والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني، داعيا إياهم "إلى اتخاذ كل الوسائل، واستخدام ما لديهم من نفوذ وعلاقات دولية وإقليمية لوقف الخطر الذي يهدد الأقصى".

وقال الاتحاد في بيانه إنه "في تطور خطير لتجاوزات الاحتلال الصهيوني الآثمة لتهويد مدينة القدس، وانتهاك قدسية المسجد الأقصى، أعلنت سلطات الاحتلال عن طرح قانون يُشرِّع لانتهاك قدسية المسجد الأقصى، وذلك بتقسيمه زمانيًا ومكانيًا".

يذكر أن نشطاء من حزب الليكود الإسرائيلي يتزعمهم نائب رئيس الكنيست (البرلمان) موشيه فيجلين أعلنوا مؤخرا عن مقترح مفصل لتقسيم المسجد الأقصى زمانيا ومكانيا بين المسلمين واليهود، وذكروا أنهم سيعملون على إقراره في الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي قريبا.

ندوة دولية حول البنوك الإسلامية بالرباط

نظمت الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي بشراكة مع جامعة محمد الخامس السويسي بالرباط، ندوة دولية حول موضوع "البنوك الإسلامية التشاركية في المغرب العربي ودورها في الاندماج الاقتصادي والحكامة الجيدة" يومي 16-17 نونمبر2013 بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي الرباط. وسينظم بالموازاة مع الندوة الجمع العام التأسيسي لرابطة المغرب العربي للاقتصاد الإسلامي التي سبق إعلان تأسيسها يوم الجمعة 28 رجب 1434هـ، موافق 7 يونيو 2013م، على أن يعقد جمعها العام بالمغرب.

تركيا: مباراة كرة قدم بين أئمة أتراك وقساوسة بلغار

سيلعب أئمة أتراك مباراة كرة قدر مع قساوسة بلغار الأسبوع المقبل ñ بمشيئة الله ñ وستقام المباراة في مدينة "أدرنة" التركية ñ أقرب مدينة تركية للحدود البلغارية، وتهدف هذه المباراة إلى إظهار الاحترام بين أتباع الديانات المختلفة.

وصرح "محمود أوغلو" ñ مسؤول في الشؤون الدينية التركية ñ أن الأئمة أرادوا أن يبعثوا رسائل السلام؛ ولذا أبدوا اهتمامًا بهذه المباراة. وأضاف: إنه سيتم تنظيم مثل هذه الأنشطة في المستقبل أيضًا في "بلغاريا" و"اليونان".

مع كتاب الله عز وجل

رسالات الهدى المنهاجي في سورة "الذاريات" 12

قال الله جلت حكمته : ﴿هل اتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد إذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه إلا جعلته كالرميم وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين﴾

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

مسلك التخلق

الخُلق الرئيس الذي وردت به هذه الآيات هو خُلُق الخوف. الخوف بمعناه التعبدي، القائم على معرفة مقام الرب العظيم، الخوف النازل على القلب من شرفات اليقين. ففي التعقيب على مهلك قوم لوط قال تعالى فيما تدارسناه :**﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾**، وهو معنى جار في كل مصارع الأمم الأخرى، لأنه مفهوم من السياق الكلي، وإنما فائدة قصص المهلكين الترهيب والتخويف من عذاب الله، ومن مغبة عصيانه والتمرد على شرعه ودينه. ومن ثم كان الخوف مقاما إيمانيا من أجل منازل الإيمان، لا يوصف به إلا أهل اليقين من الأبرار الربانيين.

وقد مدح الله أهله في غير ما موطن من كتابه وسنة نبيه ﷺ. كما حكى سبحانه مقالة الأبرار إذ قالوا : **﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾(الإنسان : 10)**، وقال سبحانه : **﴿وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾**(النازعات : 41-40)، وقال تعالى : **﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾**(آل عمران: 175)، وقال جل جلاله : **﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾**(إبراهيم : 41)، ونحو هذا وذاك في القرآن الكريم.

والخلاصة أن الخائف من الله آمن في الدنيا والآخرة بإذن الله. آمن في الدنيا من نقمته تعالى ومن شر خلقه، وآمن في الآخرة من عذابه المقيم والعياذ بالله، ولذلك عقب على خوف الأبرار من اليوم العبوس القمطرير، فقال سبحانه : **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾**(الانسان : 11).

إن الخوف من الله هو سبب السكينة والسلام، أما الخوف من غيره فهو سبب التعاسة والشقاء. ومن خاف الله وحده كفاه شر كل خوف.

والمسلك الأساس للتحقق بهذا الخلق العظيم هو :

أولا : تدبر قصص الهالكين في كتاب الله، ومطالعة أخبارهم مستحضرا أنها حقائق منزلة من عند الله، تتدبرها حتى تجد نفسك كأنك تراها، بل كأنك تعيشها وتحياها. وقد قرأت عن بعض الصالحين، أنه كان كلما قرأ قصة نوح في القرآن، ووقف على مشاهد الطوفان، شعر بالاختناق، وتتابع نبضُه، وضاقت أنفاسه، كأنما هو يغرق وذلك من شدة الاندماج النفسي مع حقائق القصة.

ثانيا : الاستيقان من ثبات سنة العقاب إلى يوم القيامة، كما بيناه، وتفسير كل الكوارث العالمية بها، دون شك ولا تردد، فلا شيء في ملك الله يتحرك بمفرده، أو يحدث بغير علمه وإذنه. فإنما هي مصائب منزلة من سمائه، على ميزان قضائه وقدره، يصيب بها من يشاء من أعدائه. وقد قال ﷺ عن حجارة قوم لوط : **﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾(هود : 83)**، أي أنها معلقة على رؤوس الظالمين في كل زمان وفي كل مكان، تنتظر الإذن الإلهي، لتنهال عليهم بالعذاب. فلا تغتر بتحليلات أهل العمى.

ثالثا : السير في الأرض ما أمكن، لمشاهدة آثار الأمم البائدة، سواء ممن ذكرهم الله في كتابه، أو غيرهم. وكثير من آثارهم ما تزال باقية رغم آلاف السنين، شاهدة على سنة الله الجارية في الظالمين. قال تعالى : **﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾**(آل عمران : 137). وإنما الشرط في مشاهدة آثار المعذبين، أن يكون القصد الأساس هو التفكر والتدبر والاعتبار، واستحضار مشاعر الخوف والحزن والبكاء، كما بيناه بدليله في الرسالة السابعة.

الخائف من الله آمن في الدنيا والاخرة بإذن الله. آمن في الدنيا من نقمته تعالى ومن شر خلقه، وآمن في الاخرة من عذابه المقيم والعياذ بالله

ولا يجوز بأي حال من الأحوال السير إلى تلك الآثار وأضرابها بقصد الترفيه والاستجمام. وإنما هي مواطن للذكرى، وإنما تركها الله جل جلاله آية للذين يخافون العذاب الأليم، كما تدارسناه.

رابعا : معرفة أن هذه الأمة أيضا معرضة - في بعض أجزائها - لما أصاب الأمم البائدة، من الخسف والقذف والمسخ. نسأل الله النجاة والعافية برحمته. وهذه حقيقة إيمانية صحت بها الأخبار عن النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :"يكون في أمتي خسف، ومسخ، وقذف"(1)، وفي حديث عمران بن حصين زيادة : (قال رجل من المسلمين : يا رسول الله متى ذلك؟ قال :"إذا ظهر القيان والمعازف، وشُربت الخمور")(2)، وقد ذكر النبي ﷺ من علامات الساعة : "ثلاثة خسوف : خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب"(3)، والإنذار بالخسف والقذف والمسخ، حديث متواتر المعنى، فقد روي عن عدد من الصحابة منهم : أم المؤمنين عائشة، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وسعيد بن راشد(4).

وقد علمنا بوقوع بعض هذا في السنوات الأخيرة، في بعض البلاد الإسلامية، وخاصة الخسف.

والخسف : زلزال عمودي، يجعل الأرض تسيخ بأهلها وعمرانها، فتبتلع ما عليها، وهو شر الزلازل والعياذ بالله. نسأله تعالى العافية. والعجيب أنه وقع اليوم فعلا في مناطق بلغ بأهلها الفسق والفجور حد الطغيان.

تلك مسالك أربعة من تحقق بمقتضياتها، وشاهد أيام الله من خلالها، رجا أن يهبه الله قلبا خائفا، فلا يأمن إلا في جوار الله، ولا يطمئن إلا بذكر الله. فذلك الذي يُرجى أن يكون من الناجين المرحومين، إن شاء الله.

فاللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

1- رواه أحمد وابن ماجة، وصححه الألباني في تحقيق سنن ابن ماجه، والسلسلة الصحيحة والجامع الصغير.

2- رواه الترمذي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحيح الجامع، وصحيح الترغيب.

3- جزء حديث رواه مسلم.

4- ن. ذلك مفصلا في السلسلة الصحيحة للألباني .392/4

قاعدة اجتماع...(تتمة)

أن الحرام مطلوب لترك، فإذا اختلط بالحلال وتعذر التمييز بينهما وجب ترك الجميع، لأنه لا سبيل إلى ترك الحرام إلا بذلك، وقد قال عمر رضي الله عنه:" كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام".

استدل الفقهاء أيضا بحديث: "ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام الحلال" وهو ضعيف.

لأن ترك الحرام واجب، وترك الحلال جائز، وغاية ما في تغليب الحرام على الحلال عند اجتماعهما: ترك الحلال مع جواز فعله، وترك الحلال لا مفسدة فيه، بينما فعل الحرام فيه مفسدة، فتغليب الحرام على الحلال هو الأحوط.

تطبيقات القاعدة :

● إذا كانت بين الحل والحرم حرم قطعها تغليبا للحرمة.

● إذا رمى في الحل صيدا بعضه في الحرم ضمنه تغليبا للحرمة، وكذا لو رمى في الحرم صيدا بعضه في الحل.

● إذا اختلطت غنم مذبوحة بميتة،وكانت المذبوحة أكثر، تحرى وأكل وإلا فلا ، لأن الغلبة تنزل منزلة الضرورة في إفادة الإباحة، فإن أسواق المسلمين لا تخلو من المحرم من مسروق ومغصوب، ومع ذلك يباح التناول اعتمادا على الظاهر، وهذا لأن القليل منه لا يمكن التحرز منه، ولا يستطاع الامتناع منه، فسقط اعتباره دفعا للحرج.

● إذا التبست أجنبية من الرضاع حرمتا معا تغليبا للحرام على الحلال. لكن إذا كان للرجل في بلد أخت من الرضاع له لا يعرفها بعينها ، جاز أن يتزوج من نساء ذلك البلد ، لان الحرام هنا قليل شائع في الحلال الكثير.

● إذا كان للمسجد منارة تطل على الدور المجاورة لم يجز للمؤذن أن يصعد فيها ويرقى عليها، لما في ذلك من الاطلاع على حرم الناس وهو محظور، فيغلب على الصعود مع جوازه.

● الحيوان المتولد من حيوانين: مباح ومحرم، يحرم أكله تغليبا للحرمة.

● يجوز للمحدث أن يمس التفسير إذا كان أكثر من القرآن أو مساويا.

● من التطبيقات المعاصرة أن الحيوان المحصل عليه عن طريق الاستنساخ والتعديل الجيني إذا اشتمل على جينات حيوان محرم حرم أكله تغليبا للحرام. كما لوتم التعديل الجيني إذا اشتمل على جينات حيوان محرم حرم أكله تغليبا للحرام. كما لوتم التعديل الجيني بين خروف وخنزير،فإنه يعتبر في حكم الخنزير.

● لا يجوز شراء أسهم من شركة تتاجر في مواد نصفها حرام، ونصفها حلال، تغليبا للحرام على الحلال.

● لا يجوز استثمار المال في شركة تودع شطر رأس مالها في الأبناك بالفوائد الربوية، تغليبا للحرام.

(*) مجلة الجذوة، العدد الأول أغسطس 2013، والمقال في أصله تضمن إحالات استغنينا عنها اختصاراً.

قاعدة اجتماع الحلال والحرام حقيقتها أدلتها وتطبيقاتها (*)

د. محمد الروكي
عضو المجلس العلمي الأعلى

هذه قاعدة فقهية كثر ورودها عند الفقهاء، ولاسيما في مجال العادات والمعاملات، كما كثر الاستشهاد بها عند الناس في عدة مواطن، وأحيانا قد يكون الاستشهاد والاستدلال بها في غير محلها، أو ينأى بها عن حدود معناها الفقهي الذي سار عليه الفقهاء، أو يغفل عن قيودها وضوابط إعمالها في مجالها، في العبادات، والعادات والمعاملات . . .

وفي هذا المقال بيان لحقيقتها وأدلتها وتطبيقاتها من خلال العناصرالآتية:

1- نص القاعدة;
2 - صيغها الأخرى;
3 - قواعد ذات علاقة بها;
4- شرح القاعدة.

نص القاعدة: "إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّب الحرام".

صيغ أخرى للقاعدة :

- إذا اجتمع الحلال والحرام رجح الحرام
- يغلب الحرام على الحلال
- تغلب جهة الحرمة على جهة الحل احتياطا
- المحرم مقدم
- المشتبه فيه يؤخذ فيه الأحوط، وهو التحريم إذا اختلط الحرام بالحلال -والتمييز غير ممكن- يحرم الكل
- إذا استوى الحلال والحرام يغلب الحرام الحلال

صيغ ذات علاقة :

- الأقل يتبع الأكثر
- الشبهة تعمل عمل الحقيقة فيما هو مبني على الاحتياط
- درء المفاسد مقدم على جلب المصالح
- كل طاعة مازجتها معصية فهي كلها معصية
- العقدة إذ ا جمعت حلالا وحراما غلب جانب الحرمة وبطلت كلها
- إذ ا تعارض المقتضي والمانع يقدم المانع
- إذا اجتمع المبيح والمحرم يغلب المحرم
- الحظر والأحوط
- إذا ورد خبران أحدهما حاظر والآخر مبيح فالحظر أولى

شرح القاعدة :

معنى القاعدة :

أن الحرام والحلال إذ ا اجتمعا معا -أي اختلطا- أخذ الجميع حكم الحرام. واجتماعهما له صورتان:

■ الصورة الأولى لاجتماع الحلال والحرام :

أن يجتمعا في شيء واحد، ككونه حلالا باعتبار، حراما باعتبار آخر، ومن صيغ القاعدة ما يعبر عن هذه الصورة كقولهم: "إذا اجتمع الحل والحرمة في المحل يترجح جانب الحرمة في الابتداء والانتهاء.

وهذا يدخل فيما سمي على لسان الشرَّع بالمشتبهات، فقد جاء في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ: "الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات..."، فالمشتبهات هي التي تتجاذبها وتتنازعها الحرمة والحلّ، فقد يفتي بعض الفقهاء في شيء بالحرمة لما قام عنده من أدلتها، ويفتي غيره بالحل لما قام عنده من أدلته، فيكون هذا الشيء متأرجحا بين الحرمة والحل، والأحوط حينئذ تغليب الحرمة على الحل، وهذا مما تدل عليه القاعدة. ومثل ذلك: أن تتعارض عند الفقيه في شيء أدلّة تحريمه مع أدلة تحليله، فيكون الأحوط هو تغليب جانب التحريم.

وتغليب الحرام على الحلال في هذه الصورة مقيد بوجود الاشتباه كما تبين، وقد روعي في ذلك في بعض صيغ القاعدة كما في صيغتها الخامسة: "المشتبه فيه يؤخذ فيه بالأحوط وهو التحريم".

الصورة الثانية لاجتماع الحلال والحرام :

أن يجتمعا في شيئين، بأن يختلط شيء حرام بشيء حلال، كاختلاط لحم مذكاة بلحم ميتة، فتغلب الحرمة على الحل أيضا خشية الوقوع في الحرام. والتَغليب هنا في هذه الصورة مقيد بثلاثة قيود:

مجال تطبيق هذه القاعدة واسع،فقد أعملها الفقهاء في العبادات والعادات والمعاملات، فهي من القواعد الكبيرة التي أخذت بها المذاهب الفقهية في الجملة

- **متى اشتبه المباح بالمحظور غلب الحظر**

وجود الاشتباه كما تقدم في الصورة السابقة، أما إذا انعدم الاشتباه كاختلاط حلال بحلال، أو حرام بحرام، فالحكم واضح، وهذا القيد مفهوم من بعض صيغ القاعدة كقولهم: "متى اشتبه المباح بالمحظور غلب الحظر". وذلك لان الحرام مما يحتاط له، ومن الاحتياط له تغليبه على الحلال في المشتبه فيه الدائر بينهما،والشبهة عند الفقهاء معتبرة في كل ما ينبني على الاحتياط، ومن قواعدهم في ذلك: أن الشبهة تعمل عمل الحقيقة فيما هو مبني على الاحتياط.

- **تعذر التمييز بين الحرام والحلال**

أما إذ ا أمكن التمييز بينهما فالحرام حرام، والحلال حلال، اجتمعا أو افترقا، وقد نُصَّ على هذا القيد في بعض صيغ القاعدة كما في الصيغة السادسة:" إذا اختلط الحرام بالحلال، والتمييز غير ممكن يحرم الكُلّ". فمفهوم هذه الصيغة أنه إذ ا أمكن التمييز أخذ كل من المختلطين حكمه الأصلي، الحلال على حلِّيَّته، والحرام على حرمته، ولا يحكم بالتغليب.

- **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**

ألا يكون الحرام قليلا: فتغليب الحرام على الحلال عند اجتماعهما واختلاطهما إنما يصار إليه احتياطا، إذا كان الحرام كثيرا، أو مساويا للحلال، أما إذا كان قليلا وكان الحلال كثيرا فإنه حينئذ يغلب الحلال على الحرام، لأن الحكم للغالب، ولأن الأقل يتبع الأكثر، وقد بين ذلك "ابن رشد الجد" فقال: "إن الفعل الواحد إذا اشتمل على مصلحة من جهة، ومفسدة من جهة أخرى، فإن الشارع ينظر إلى الجهة الغالبة، فإن غلبت جهة النفع والخير قُدِّمَت، ويوصف الفعل بالصلاح، ويكون هو المتصور شرعا، كالحجر على السفيه، فإن فيه أضرارا بتقييد حريته المالية، ولكن ذلك أضعف بكثير من حفظ أمواله وصيانتها له، وإذا غلبت المفسدة على المصلحة - وهو موضوع القاعدة- رُجِّح جانب الضرر ووصف الفعل بالفساد، ويكون هو المقصود بالنهي عنه شرعا...

وقد مثل بعض الفقهاء لقاعدة "اختلاط الحلال بالحرام باختلاط المائع الطاهر بالنجس" ومعلوم أن قليل النجاسة لا ينجس الماء الطاهر الكثير، لأنها لقلتها تستهلك فيه لكثرته، وهذا ما يسميه الفقهاء بالاستحالة عن طريق الاستهلاك والمكاثرة، فحكم اختلاط عين محرمة قليلة بعين حلال كثير، كحكم اختلاط قليل نجاسة بكثير طاهر أيهما كان غالبا فالحكم له، وقد ورد ما يعبر عن ذلك من صيغ القاعدة كقولهم: "إذا اختلط الحلال بالحرام والحلال غالب يحتج بشهادة القلب، والمراد بشهادة القلب استفتاؤه عملا بقول النبي ﷺ: "استفت قلبك، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصَّدر، وإن أفتاك النَّاس وأفتوك.

وإذاً، فإذا اختلط الحرام بالحلال فإنه يغلب الكثير منهما القليل، وإذا استويا غلب الحرام على الحلال، كما جاء في الصيغة السابقة "إذا استوى الحلال والحرام يغلب الحرام الحلال" وذلك لأن الحرام هنا ليس بقليل، والحد الفاصل بين القليل والكثير عند الفقهاء هو الثلث، فما دونه قليل، وما فوقه كثير، والثلث في حد في ذاته شركة بينهما، ولذلك قالوا فيه: إنه نهاية القليل وبداية الكثير.

والأحوط أن يعتبر كثيرا كما وصفه النبي ﷺ في قوله لسعد بن أبي وقاص: "الثلث والثلث كثير..." والمفهوم من كلام الحنفية أن القليل ما دون الربع، ومن قواعدهم في ذلك: أن الربع يقوم مقام الكل.

وواضح من هذا القيد أن قاعدة قيد آخر هو أن لا تدعو الضرورة إلى الحرام المختلط بالمباح، ومنها قولهم: "إذا اشتبه المباح بالمحرم فيما لا ضرورة إليه فيحرم الكل" وهو تحصيل حاصل، لأن المحرم إذ ا اضطر إليه المكلف صار مباحا لقيام الضرورة إليه عملا بقاعدة:" الضرورات تبيح المحظورات": فهو قيد عام في استباحة المحرم، اختلط بالحلال أولم يختلط.

ومجال تطبيق هذه القاعدة واسع،فقد أعملها الفقهاء في العبادات والعادات والمعاملات كما سيتضح من خلال التطبيقات، فهي من القواعد الكبيرة التي أخذت بها المذاهب الفقهية في الجملة.

وكما أعملها الفقهاء فيما ذكر، فقد أعملها علماء أصول الفقه في التعارض والترجيح بين الأدلة، واشتهرت عندهم بصيغ أصولية، منها قولهم: "إذا ورد خبران أحدهما حاظر والآخر مبيح فالحظر أولى"، وقولهم: "إذا اجتمع المبيح والمحرم يغلب المحرم" فهي من القواعد المشتركة بين الفقه والأصول، إلا أنها استعملت في كل مقام من المقامين بما يناسبه من الصيغ.

أدلة القاعدة :

حديث النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: "إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام.

ووجه الاستدلال أن النبي ﷺ جعل اتقاء الشبهات استبراء للدين والعرض، أي حفظا لهما، وجعل الوقوع في الشبهات وقوعا في الحرام، والشبهات هي ما دار بين الحلال والحرام، فدل ذلك بمنطوقه ومفهومه على أن الحرام إذا اختلط بالحلال من غير تمييز أحدهما عن الآخر صار ذلك شبهة ينبغي اتقاؤها والاحتياط منها حفظا للدين والعرض.

عن الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". واختلاط الحرام بالحلال شبهة تورث الارتياب، فوجب الترك احتياطا. وذلك لأن ما يريب قد يكون حراما، فتركه واجب، وفعله محرم. وقد يكون مباحا فتركه جائز. فترك ما يريب دائر بين الوجوب والجواز، أما فعل ما يريب فدائر بين الحرمة والجواز، لذلك وجب تركه بالأمر بترك ما يريب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه".

وجه الاستدلال :

تتمة ص : 4

خطبة منبرية

الإنفاق في سبيل الله وأهميته في التماسك الاجتماعي

ذ. إدريس اليوبي

الخطبة الأولى

...عباد الله:

إن من الأخلاق النبيلة، والصفات الحميدة، التي دعا إليها الإسلام، وتحلى بها المؤمنون الصادقون، خلق قد انشغل الناس عنه اليوم، ونسوه أو تناسوه، حتى كاد هذا الخلق يغيب بين الناس: عامتهم وخاصتهم- إلا من رحم الله- رغم أن هذا الخلق قد جعله الله تعالى صفة من صفات المؤمنين، ومدح به المتقين؛ إن هذا الخلق هو خلق الإنفاق في سبيل الله ، قال تعالى:

﴿الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه .هدىً للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾، وقال سبحانه: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾.

وقد ذهب بعض المفسرين في تحديد المراد من الإنفاق بأنه عام يشمل الزكاة المفروضة، وصدقة التطوع، والنفقة على الأهل والأولاد، وكل شيء، لأنه خلق من أخلاق المؤمنين.

والمؤمن الحقيقي هو الذي يعطي وينفق، ويبذل ويتصدق ويحتسب ذلك كله لله، ولا يقيد عطاءه بقيد أو شرط، حتى يصبح ذلك طبعًا فيه وخلقاً وفطرة، قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾، والمؤمن الحقيقي هو الذي ينفق من أحب الأشياء إليه، قال تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾.

ولا عبرة في الإنفاق بالكثرة والقلة، فقد قال رسول الله ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"، ولكن العبرة بالإخلاص لله، وابتغاء مرضاة الله؛ فكم من رجل تصدق بدرهم في سبيل الله خير ممن تصدق بأكثر من ذلك.

ومن رحمات الله تعالى بنا أنه يعطينا من فضله، ويطلب منا أن ننفق مما أعطانا، ثم يثيبنا على ذلك أعظم ثواب في الدنيا والآخرة ؛ أما في الدنيا فإن الله تعالى وعد المتصدق في سبيل الله بالخُلف والزيادة في الرزق، فقال جل وعلا:﴿وما أنفقتم من خير فهو يُخلفه وهو خير الرازقين﴾، كما وعد سبحانه وتعالى بتضعيف الخُلف والزيادة إلى سبعمائة ضعف فأكثر، فقال عز وجل:﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم﴾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر:اللهم أعط ممسكا تلفا"؛ وأما الثواب في الآخرة فيتمثل في قوله تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المومنين﴾.

عباد الله : إذا كان البذل والعطاء والإنفاق عموما من الفضائل والشمائل التي رغب فيها الشرع الحنيف، فإن الزكاة - وهي إحدى أنواع الإنفاق والعطاء- لتعتبر واجبا من الواجبات، وفرضا يقوم عليه الدين، وركنا يبنى عليه الإسلام، قال تعالى:﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾، وقال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"؛ ولكن كثيرا من المسلمين اعتقدوا أن الزكاة جزء منفصل عن بقية الأركان، أو هي أدنى مرتبة من الصلاة والصوم والحج ... ونسوا أن الإسلام كل لا يقبل التجزيء، حتى أصبحوا يعيشون واقعا بعيدا عن أحكام الدين وتشريعاته، فمنهم من يتهاون في إخراج زكاة أمواله ويؤخرها عن وقتها، أو يخرج بعضها فقط، أو يعطيها لمن لا يستحقها، وكثيرا ما يقتصر في توزيعها على أهله وأقاربه، وذويه وعشيرته، ولو كانوا في غنى عنها؛ ومنهم من يفضل توزيعها على بعض الموظفين والمسؤولين الذين تربطه وإياهم مصالح مادية وأغراض شخصية، حتى يساعدوه على قضاء مآربه وحاجاته؛ ومنهم من يخرجها من الأموال التي ربحها من الفوائد البنكية؛ ومنهم من يخصصها لأداء الضرائب والرسوم التي تفرضها عليه الدولة؛ وأكثر الناس من التجار والصناع والفلاحين، وحتى الموظفين والمأجورين، نسوا أو تناسوا أن هناك ركنا في الإسلام اسمه الزكاة، فليحذر مثل هؤلاء من بطش الله وعقابه، قال تعالى:﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾؛

أخرج ابن ماجه والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم يَنْقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)؛ وقال تعالى:﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، ولله ميراث السماوات والأرض، والله بما تعملون خبير﴾

بالزكاة والصدقة يتحقق التكافل بين الناس ويسود التعاون بينهم وتتقلص الفوارق الطبقية، وتُحل مشاكل ذوي الحاجات، وتُتنفس عنهم الكُرب، وتُفرج عنهم الهموم، ويُوسع عليهم في الرزق، وتسود المحبة بين الأغنياء والفقراء

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، واجعلنا لآلائك من الذاكرين ولأنعمك من الشاكرين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

...عباد الله :

إن الزكاة خاصة والإنفاق والصدقة عامة أداة رئيسة ووسيلة فعالة لتحقيق مجموعة من الغايات سواء على المستوى الفردي أو الجماعي:

فأما على مستوى الفرد: فإن الذي يعتاد الإنفاق والبذل من المال الذي يملكه مواساة لإخوانه، وتوسيعا عليهم، ومساهمة في مصالح مجتمعه وأمته، يكون بعيدا أشد البعد عن الاعتداء على مال غيره بالنهب والسرقة والاحتيال والغش والخديعة، والذي يعطي من ماله لا يفكر أبدا أن يأخذ مال غيره بغير شرع، وإذا ساد هذا الصنف من الناس في المجتمع تحقق ما يسمى بالأمن الاقتصادي، وهو ما نحن في أمس الحاجة إليه اليوم.

أما على مستوى المجتمع: فبالزكاة والصدقة يتحقق التكافل بين الناس ويسود التعاون بينهم وتتقلص الفوارق الطبقية، وتُحل مشاكل ذوي الحاجات، وتُنفس عنهم الكُرب، وتُفرج عنهم الهموم، ويُوسع عليهم في الرزق، وتسود المحبة بين الأغنياء والفقراء، فينظر الغني إلى الفقير بعين الرحمة، وينظر الفقير إلى الغني نظرة احترام وتقدير، فتغيب عنهم العداوة والبغضاء والكراهية والحقد والحسد، وبذلك يتحقق ما يسمى بالسلم الاجتماعي، فيعيش الكل في أمن وأمان، وسلم وسلام.

عباد الله: إن هذه العيشة الهنيئة، والحياة السعيدة، التي تتحقق بتعاليم الإسلام هي التي افتقدناها اليوم بسبب بعدنا عن الدين، فقد غاب عن المسلمين مفهوم الأخوة وحقوقها، وغاب عن المسلمين مدلول الرحمة ومستلزماتها، وغاب عن المسلمين معنى المحبة ومتطلباتها، وغاب عن المسلمين مفهوم الإيثار الذي كان يحكم المسلمين في الشدة والرخاء حتى وصفهم المولى سبحانه بقوله:﴿ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يُوق شُح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.. فلابد أن نراجع أنفسنا، ونجدد فهمنا للدين، ونحسن التزامنا بالإسلام، وتطبيقنا لتعاليم الشرع، حتى يرضى عنا ربنا سبحانه...

فاللهم يا خير من دعاه الداعون، ويا أفضل من رجاه الراجون، ويا أكرم من سأله السائلون، نتوسل إليك- ربنا- أن تجعلنا من دعاة الخير والفضيلة، وأن توفقنا إلى فعل ما ترضى به عنا، اللهم إنا نسألك الصدق في القول، والإخلاص في العمل، ونسألك الرضا والقبول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ويغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين...

مقومات ربانية لمعلمي الكتاتيب القرآنية

د. إدريس مولودي
رئيس المجلس العلمي المحلي للرشيدية

1- مقدمة :

لا تخفى أهمية القرآن الكريم؛ باعتباره الأصل الذي تبنى عليه كل الأصول التي يُستند إليها للتعليم والبيان والعمران؛ على مستوى الفرد والجماعة في كل مجال، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(النحل : 89).

فهو النور المبين السبيل إلى الله تعالى، والشفاء من الأسقام الحسية والمعنوية، والسبب في ارتقاء الأمة المسلمة مكان الشهادة والريادة والسيادة... ومن ثم فهو من أفضل وأجل ما تصرف فيه الجهود والأوقات والأموال..

وبما سلف وغيره نال تعليم القرآن ومعلم القرآن الرفعة ووسام الخيرية والشرف في الدنيا والآخرة، فعن عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ : أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخُزَاعِيَّ لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِعُسْفَانَ ، وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ. فَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه : مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ : اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أَبْزَى. فَقَالَ عُمَرُ : مَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ فَقَالَ نَافِعٌ : مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. فَقَالَ عُمَرُ : وَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ :«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(1)

وعن عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» . قَالَ وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِى إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ ، قَالَ وَذَاكَ الَّذِى أَقْعَدَنِى مَقْعَدِى هَذَا(2).

وكما صرح بذلك أبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ فهذه الخيرية وهذه المكانة السامقة هي التي أقعدته لإقراء القرآن الكريم ما يقارب الأربعين سنة من خلافة عثمان إلى عصر الحجاج بن يوسف الثقفي.

والنصان صريحان في أن الرفعة والخيرية في الدنيا والآخرة مرهونتان بالجمع بين أمرين اثنين؛ تعلم القرآن الكريم وتعليمه؛ بين العلم والعمل.

وبهذه الرفعة والخيرية سيكون معلم القرآن مصدر خير كثير لمن يسمعه أو يتعلم عنه أو يجالسه ... ومن ثم انشغلت مخلوقات كثيرة بالدعاء له :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»(3).

وكل رجل أو امرأة هذه مهمته وهذه مكانته لا بد له من صفات ومقومات تؤهله ليكون من أهل القرآن أهل الله وخاصته الذين يحملون لواء القرآن وينشرونه..

والقيم والمقومات الأخلاقية مقصد الإنزال والإرسال ومقصد الشعائر عموما؛ من لوازم المعلم قبل الطالب... ومن ثم فهي اللحمة وحبل الوصال بين المعلم والطالب وسبيل النفوذ إلى عقل وقلبه الطالب...

2- الربانية جامع المقومات :

ملاك المقومات والصفات كلها صفة الربانية، والدليل والسبيل تهدينا إليه الآية النص من القرآن : ﴿كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران : 79).

● الربانية إجمالا :

فيها نسبة إلى الرب سبحانه فالمتصف بها هو المخلص لله تعالى الموحد له قصدا ووجهة .. والمخلَص

معلم القرآن ينبغي أن يكون أحرص الناس وأسبقهم إلى الخيرات عاملا بمقتضى علمه بالقرآن قبل طالبه ومتعلمه.. ومحصلا القصد من تعلمه وتعليمه أي صفة الربانية جوهرها ولبها خشية الله تعالى

لله أيضا الذي بلغ المراتب العليا من العبودية لله تعالى.

والربانية أيضا من التربية، والرباني كما قال ابن عباس : يقال: "الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ"(4). بمعنى التربية بالتدرج وحسب الطاقة ودرجة الإقبال ...

وهذه الصفة العالية الغالية التي تجمع الجانب القلبي بالجانب السلوكي العملي والجانب العلمي المعرفي.. تدرك بالتعلم والتعليم للكتاب، كما صرحت بذلك الآية المنطلق.

ومعلم القرآن ينبغي أن يكون أحرص الناس وأسبقهم إلى الخيرات عاملا بمقتضى علمه بالقرآن قبل طالبه ومتعلمه.. ومحصلا القصد من تعلمه وتعليمه أي صفة الربانية جوهرها ولبها خشية الله تعالى، كما قال الله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الحشر : 21). وكما قال أيضا:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(فاطر : 28).

والعالم بحق والفقيه بحق هو الذي لا يغيب عنه هذا القصد الجوهر، وهو الذي يمتد ببصره وسعيه نحوه، ومن ثم أنكر الرَسُولُ اللَّه ﷺ على من غاب عنه ذلك أو كاد من صحابته الكرام، فعن أَبِي الدَّرْدَاء قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَشَخَصَ بِبَصَرِه إِلَى السَّمَاء ثُمَّ قَالَ: "هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لاَ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ" فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللَّه لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ هَذِه التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ" قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قُلْتُ: أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ. قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِنْ شِئْتَ لأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؛ الْخُشُوعُ. يُوشَكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلاَ تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا(5).

إنه حديث رهيب يحذر من خطر يدهم المسلم دون شعور منه؛ فيختطف منه جوهر كسبه من قراءة وإقراء القرآن؛ الخشية والخشوع، وهو ما تعبر عنه لفظة "اختلاس العلم"، فقد يكون المرء وعاء مملوء بالمحفوظ من النصوص والمعلومات والروايات، لكن لم تغن عنه شيئا بحيث لم تتجل على حاله تقوى الله وخشيته. كما قال عَبْدُ الله بن مسعود رضي الله عنه : «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ»(6).

1- أخرجه مُسْلِمٌ في صحيحه كتاب صلاة المسافرين بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا. الحديث رقم 817.

2- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ الحديث رقم 5027.

3- أخرجه الترمذي في السنن بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفِقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، الحديث رقم 2685، وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم1838في صحيح الجامع.

4- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

5- أخرجه الترمذي في سننه بَابُ مَا جَاءَ فِي ذَهَابِ العِلْمِ الحديث رقم 2653. وقال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 6990 في صحيح الجامع

6- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 131).

عبرة

قال عطاء بن رباح رحمه الله تعالى : "إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها، أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد؟ أما يستحيي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته"؟

كثرة الكلام بغير ذكر الله هلاك للمرء وقسوة للقلب، وقد صح عن المعصوم ﷺ أنه قال لمعاذ رضي الله عنه : «وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم»، وصح عنه أيضا أنه قال : (إن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب).

وإن تعجب فاعجب ممن أطلق للسانه العنان، فهو ينهش به أعراض الناس، ويخوض مع الخائضين ولا يبالي ما نبست به شفتاه، كأنه ما طرق مسامعه قول الله عز وجل : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، كأنه ما بلغه وعيد (إن الرجل ليلقى بالكلمة لا يلقى لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا).

ورب كلمة أوردت صاحبها الموارد، وقد كان العتيق أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول : "هذا الذي أوردني الموارد"، وهو من هو في إيمانه وسبقه وفضله، فكيف بمن دونه من أمثالنا، وما أحالنا يسلم لنا يوم لم نسود فيه صحائفنا بما جنته ألسنتنا، والمعصوم من عصمه الله جل وعلا، وشغل لسانه بذكره، فلا تراه إلا ذاكرا الله تعالى، شعارُهُ "ذكر الخلق داء، وذكر الخالق دواء"، وقد قال العابد المبارك عبد الله بن المبارك في بعض أشعاره :

وإذا هممت بالمنطق البا
طل فاجعل مكانه تسبيحا
إن بعض السكوت خير من
النطق وإن كنت بالكلام فصيحا
فاللهم ارزقنا ألسنة بذكرك لهجة، وعن ذكر غيرك معرضة. آمين.

ذ. منير مغراوي

أ.د. الشاهد البوشيخي

الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) في افتتاح

الدورة التأهيلية الأولى للجامعة العالمية المفتوحة للدراسات المصطلحية

■ "المسألة المصطلحية" هي قلب الإشكال، ومفتاح الإقلاع، ومحرك التجديد

■ "المسألة المصطلحية" هي محور الصراع، وجوهر النزاع، ومركز الدفاع

أ.د الشاهد البوشيخي

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الضيوف الأكارم

مرحبا بكم في بلدكم وبين أهليكم، مرحبا بضيوف العلم في بلد العلم، وضيوف المصطلح في بلد المصطلح. وإنا والله لمستحون من بضاعتنا المزجاة، ولكن اشتد الطلب، وكثر الرَّغب، فلم نملك إلا الاستجابة للطلب.

فعذرا عذرا وأنتم الكرماء الحلماء عمَّا طرأ أو يطرأ من تقصير. وإنما الجزاء الأوفى لنا ولكم عند الله تعالى العلي القدير.

أيها الضيوف الأكارم

الحديث عن المسألة المصطلحية حديث ذو شجون، وما في الصدر منه أكثر مما في السطر:

ولو أن قيسا أنطقتني رماحها نطقت ولكن الرماح أجرت.

فيا حسرة على قيس "و" رماح" قيس.

ويا ليت قومي يعلمون بأن "المسألة المصطلحية" هي قلب الإشكال، ومفتاح الإقلاع، ومحرك التجديد. ذلك بأنها تتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات.

ويا ليت قومي يعلمون بأن "المسألة المصطلحية" هي محور الصراع، وجوهر النزاع، ومركز الدفاع. ذلك بأن عليها المدار منذ استخلاف آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، وفيها النزاع بين المستكبرين والمستضعفين في مختلف الأمصار والأعصار، وبها الدفاع عن الهوية الدينية، والخصوصية الثقافية، والوِجْهة الحضارية.

ألا ليت قومي يعلمون بأن المصطلح الذي أنزل إليهم من ربهم هو المصطلح، و أنهم لو أقاموا المصطلح الذي أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

ألا ما أحوج الأرض اليوم إلى من يقيم فيها مصطلح الذكر كما أنزل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾(الحجر 9)، لتستدير من جديد كهيئتها يوم خلق الله السموات والأرض، ويقام الميزان والوزن بالقسط.

ألا إن شأن مصطلح الذكر لعظيم، وتغييره أو تبديله مما يحسبه الناس هينا وهو عند الله عظيم، ومسه بسوء مس بالنظام العام للكون والحياة والإنسان جد أثيم.

أيها المحبون للمصطلح وآله.

إن هذه الجامعة ما أنشئت إلا لجمع نخبة مصطفاة من الأمة قصد التعاون معها على مشروع النهوض للشهود: نهوض الأمة الشامل، وشهودها الحضاري العالمي القادم بحول الله تعالى، انطلاقا من القرآن العظيم، روح الأمة وباعثها، وهاديها، ومسدد سيرها.

لا جرم أنه إذا صح الفهم صح العمل، وإذا صح العمل تحسن الحال. ومنذ أجيال وأجيال، حيل بين الأمة وبين كتاب ربها بمختلف الأشكال، فكان ما كان...

وإن هذه الدورة : دورة القرآن الكريم والدراسة المصطلحية -الرؤية والمنهج- ما نظمت إلا للتشاور العلمي في المنهج اللازم لذلك النهوض لتحقيق ذلك الشهود، مع من اختارهم الله تعالى ليكونوا طليعة تلك النخبة.

أيها المحبون للقرآن العظيم وأهله.

لا جرم أنه إذا صح الفهم صح العمل، وإذا صح العمل تحسن الحال. ومنذ أجيال وأجيال، حيل بين الأمة وبين كتاب ربها بمختلف الأشكال، فكان ما كان...

ومتى حجب القرآن حاجب، وحال بينه وبين الناس حائل، فقد قُطعَ بوجه من الوجوه ما أمر الله به أن يوصل. وما أكثر قطاع الطريق عبر القرون!:

- المحارب لانتشار اللسان العربي في الأمة قاطع طريق.
- والمفسر للقرآن بغير دلالة زمن التنزيل قاطع طريق.
- والملزم للناس بهدى كتاب غير كتاب الله عز وجل قاطع طريق.
- والمتخذ إسوة غير رسول الله ﷺ، وهو المبين، قاطع طريق.
- والمبعد للقرآن من التعليم والإعلام والحياة قاطع طريق.

خير تمهيد لفهم القرآن فهم مصطلحاته، وخير تمهيد لفهم مصطلحاته استيعاب الفهوم السابقة، ولا ينهض بذلك الاستيعاب على وجه محرر ميسر، غير المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، الذي هو تمهيد لما هو أهم منه، ألا وهو المعجم المفهومي لـمصطلحات القرآن العظيم.

- وغيرهم... وغيرهم... ممن يمنع وصول القرآن إلى الأمة، أو يمنع وصول الأمة إلى القرآن... كلهم قاطع طريق.

ولتعود المياه إلى مجاريها، يجب إعادة وصل الإنسان بالقرآن، وإحلال القرآن في الإنسان، ليستضيء بالقرآن كل الكيان وتظهر ثمرات القرآن في كل الأكوان.

ولن يعذر اليوم قادر قدرة ما، على وصل ما، أو إحلال ما، ألا يبذل أقصى ما يستطيع في الإسهام في إحياء الأمة بالقرآن. فلقد بلغ السيل الزُّبَى، ووصل الحزام الطُّبْيَيْن. ولا كشف لغمّة الأمة إلا بالقرآن.

إن انشغال صفوة من الباحثين بتجديد فهم القرآن، هو انشغال بالذي إذا صلح صلح العمل كله، وإذا فسد فسد العمل كله، ألا وهو الفهم.

وخير تمهيد لفهم القرآن فهم مصطلحاته، وخير تمهيد لفهم مصطلحاته استيعاب الفهوم السابقة، ولا ينهض بذلك الاستيعاب على وجه محرر ميسر، غير المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، الذي هو تمهيد لما هو أهم منه، ألا وهو المعجم المفهومي لمصطلحات القرآن العظيم.

فهل سينهض بعد هذا النداء رجال لا تلهيهم مغانم ولا مغارم عن ذكر الله وإقام فهم القرآن؟.

وهل سينهض بعد هذا النداء رجال بأموالهم وأنفسهم للنهوض بهذا المشروع التاريخي المؤسِّس لتجديد الخلف على استيعاب جهود السلف؟

وهل ستنفر طائفة من رواحل الباحثين ليتفقهوا في الدين، وليفقهوا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يفقهون؟

اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. ولا حول ولا قوة إلا بك.

تعزية

السيد الحسين فليو في ذمة الله

توفي السيد الحسين فليو يوم 2013/11/16م، بفاس.

وبهذه المناسبة تتقدم أسرة الجريدة إلى أسرة الفقيد وذويه وأقاربه وإلى جميع أبنائه بأصدق التعازي سائلين المولى جل وعلا أن يسكن الفقيد فسيح جنانه، ويرزق أهله وذويه الصبر والاحتساب.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

العاصمة العلمية فاس تحتضن الجامعة العالمية المفتوحة للدراسات المصطلحية

في موضوع : القرآن الكريم والدراسة المصطلحية –الرؤية والمنهج–

إعداد : عبد الحميد الرازي

على مدار ستة أيام من:27 ذي الحجة 1434هـ إلى 4 محرم 1435 هـ الموافق 02-08 نونبر 2013م احتضنت العاصمة العلمية فاس أشغال الجامعة العالمية المفتوحة للدراسات المصطلحية وذلك **بالدورة التأهيلية الأولى في موضوع: القرآن الكريم والدراسة المصطلحية –الرؤية والمنهج–.**

وقد نفر طائفة من رواحل الباحثين من المغرب والجزائر وليبيا والسعودية والكويت وسلطنة عمان ومصر وباكستان وبلجيكا وغيرها من دول العالم ليتفقهوا في منهج الدراسة المصطلحية، وليفقهوا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يفقهون؟

وقد جاء في الكلمة الافتتاحية للدورة التي ألقاها الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي **"أن هذه الجامعة ما أنشئت إلا لجمع نخبة مصطفاة من الأمة قصد التعاون معها على مشروع النهوض للشهود: نهوض الأمة الشامل، وشهودها الحضاري العالمي القادم بحول الله تعالى، انطلاقا من القرآن العظيم، رو ح الأمة وباعثها، وهاديها، ومسدد سيرها".**

"وإن هذه الدورة: دورة القرآن الكريم والدراسة المصطلحية – الرؤية والمنهج– **ما نظمت إلا للتشاور العلمي في المنهج اللازم لذلك النهوض لتحقيق ذلك الشهود، مع من اختارهم الله تعالى ليكونوا طليعة تلك النخبة".**

ولتحقيق هذه الغايات اشتغل جميع المشاركين، مؤطرين ومستفيدين على برنامج مكثف تناول قضية "المسألة المصطلحية" التي هي قلب الإشكال، ومفتاح الإقلاع، ومحرك التجديد. ذلك بأنها تتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات، حسب تعبير الدكتور الشاهد البوشيخي الأمين العام لمبدع مؤكدا أيضا أن " المسألة المصطلحية هي محور الصراع، وجوهر النزاع، ومركز الدفاع لأن عليها المدار منذ استخلاف آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، وفيها النزاع بين المستكبرين والمستضعفين في مختلف الأمصار والأعصار، وبها يكون الدفاع عن الهوية الدينية، والخصوصية الثقافية، والوِجْهة الحضارية.

على صدى هذه العبارات المؤثرة افتتاحية في موضوع: ضرورة تجديد المنهج لتجديد فهم الأمة للقرآن الكريم، تفضل بإلقائها الدكتور الشاهد البوشيخي الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية- مبدع- والمدير المؤسس لمعهد الدراسات المصطلحية،

وأما اليوم الثاني فقد استهل **بجلسة أولى** قدم فيها الدكتور مصطفى فوضيل المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) ورقة بعنوان: **المسألة المصطلحية: مفهومها- علاقاتها- مجالاتها،** كانت مقدمة ممهدة تناولها المشاركون بالدرس في ورشات خاصة لاستيعابها بشكل جيد، بعدها اجتمع الباحثون في جلسة عامة تتناولت حصيلة عمل الورشات، ولمزيد من الفائدة، وعلى نفس النظام سارت أشغال الدورة المباركة ببركة القرآن فكانت الجلسة الثانية من نصيب الدكتورة فريدة زمرد أستاذة التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية- الرباط التي عرضت ورقة تحت عنوان: **"القرآن الكريم والدراسة المصطلحية".**

وأما **الجلسة الثالثة** فقد تناولت موضوع: **"مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة"** قدمها د. سعيد شبار أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بني ملال.

في حين جاءت **الجلسة الرابعة** لتعرف ب**"أركان منهج الدراسة المصطلحية"** في ورقة قدمها الدكتور محمد أزهري عميد كلية اللغة العربية بجامعة القرويين- مراكش.

أما **الجلسة الخامسة** فخصصها القائمون على الدورة للإجابة عن كيفية الإحصاء، قدم فيها الدكتور عبد الرحمن بوكيلي أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- مكناس **ورقة بعنوان: كيف نحصي المصطلح؟**

هذه الورشة كانت مقدمة لورشات تطبيقية في إحصاء مصطلح "التغيير" في القرآن الكريم والحديث الشريف.

وأما سؤال: **كيف ندرس المصطلح دراسة معجمية؟** فقد أجابت عنه **الجلسة السادسة** حيث قدم ورقتها الدكتور رشيد السلاوي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب سايس فاس الذي مهد لورشات تطبيقية في دراسة مصطلح "التغيير" في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة معجمية، تلتها جلسة عامة لحصيلة الورشات.

هذا وقد أسفرت **الجلسة السابعة** عن الجواب المتعلق بالسؤال عن **كيفية الدراسة المصطلحية** وقد قدم الورقة د. إدريس مولودي (أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- مكناس) والتي حملت عنوان: **كيف ندرس المصطلح دراسة نصية؟** ليفسح المجال للورشات التطبيقية التي تناولت دراسة مصطلح "التغيير" في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة نصية، أعقبتها جلسة عامة للنظر في حصيلة الورشات.

أما **الجلسة الثامنة** فقد كانت خاتمة جلسات اليوم الخامس والتي قدم فيها الدكتور عبد الحفيظ الهاشمي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب وجدة ورقته التي يجيب فيها عن : **كيفية دراسة المصطلح دراسة مفهومية؟**

بعدها توجه الجميع نحو الورشات التطبيقية لدراسة مصطلح "التغيير" في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مفهومية، تلتها جلسة عامة لحصيلة الورشات.

وأما يوم الخميس 03 محرم الحرام 1435هـ الموافق ل: 7 نونبر 2013 وهو اليوم السادس والأخير من أيام الجامعة العالمية المفتوحة التي فتحت الآفاق أمام الباحثين الجدد في المسألة المصطلحية، فقد تميز بكونه يوم العرض ليعرض في الجلسة التاسعة من جلسات الدورة ورقة بعنوان: **كيف نعرض المصطلح؟** تولت مهمة عرضها الدكتورة فاطمة بوسلامة (أستاذة التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية/ الرباط) توجه بعدها الباحثون إلى ورشات تطبيقية في عرض مصطلح "التغيير" في القرآن الكريم والحديث الشريف عرضا مصطلحيا. ثم إلى جلسة عامة للوقوف على حصيلة الورشات.

وأما **الجلسة الختامي**ة فقد جرت وقائعها برئاسة د. مصطفى فوضيل المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية- مبدع. الذي وزع الكلمات بعد تلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم فكانت الكلمة الأولى باسم المشاركين ألقاها بالنيابة الدكتور أنس عبد الوهاب زرعة من السعودية أعرب فيها عن مدى الارتياح الذي حصل للجميع بعد ستة أيام من التواصل وتبادل الخبرات والاستفادة من الأساتذة المؤطرين وعلى رأسهم شيخ المدرسة المصطلحية الدكتور الشاهد البوشيخي الذي حرص على الحضور والتعقيب على كل الجلسات بالتوجيه والإجابة عن الاستفسارات التي تعن للباحثين خلال الورشات.

وكما افتتح الدكتور الشاهد البوشيخي أشغال الجامعة العالمية المفتوحة فقد كانت له في ختامها كلمة توجيهية، حفز فيها الباحثين ورغبهم في الاشتغال بخير ما يمكن أن يشتغل به طالب علم، وهو القرآن الكريم، كما ألقيت قصيدة من وحي المناسبة ألقاها الطالب الباحث: محمد زنداك عبر فيها عن أهمية هذه الدورة ليسدل الستار بتوزيع شهادات المشاركة على كل المشاركين مستفيدين ومؤطرين.

البيان والتأصيل لـمختصر الشيخ خليل

عنوان أطروحة جامعية للدكتور امحمد العمراوي

نوقشت برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة المولى إسماعيل بمكناس بتاريخ 10 محرم الحرام الموافق 2013/11/14، أطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب الباحث امحمد العمراوي، في موضوع: البيان والتأصيل لمختصر الشيخ خليل: الزكاة والصوم والاعتكاف والحج

وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة الأساتذة: الدكتور عبد الرحمن حسي رئيسا - الدكتور عبد الله الهلالي مشرفا ومقررا - الدكتور محمد التاويل عضوا - الدكتور حسن الزين فيلالي عضوا - الدكتور عبد الله غازيوي عضوا، وبعد المناقشة والمداولة قررت اللجنة العلمية الطالب ميزة مشرف جدا مع التوصية بالطبع.

فهنيئا للدكتور امحمد العمراوي بهذا الإنجاز العلمي ونسأل الله العلي القدير أن يكلل مسيرته العلمية بالنجاح والتوفيق لما فيه خدمة الأمة.

وفي ما يلي ملخص التقرير الذي تقدم به أمام اللجنة العلمية:

يشرفني أن أحضر أمام هذه اللجنة العلمية الموقرة، لأقدم بين يديها تقريرا موجزا عن أطروحتي الجامعية في موضوع: "البيان والتأصيل لمختصر الشيخ خليل: الزكاة والصوم والاعتكاف والحج"

لقد بذل الفقهاء المسلمون من زمن الصحب الكرام رضي الله عنهم وإلى اليوم جهودا كبيرة، وأنفقوا أعمارا نفيسة، وأوقاتا ثمينة في خدمة هذا الفقه تأسيسا واستنباطا، وتأصيلا وتفريعا، ودراسة وتدريسا.

والمؤكد أن هذا الفقه عرف تحولات منهجية كبيرة، في محطات تاريخية عديدة، فكانت المرحلة الأولى في زمن الصحب الأكرمين رضي الله عنهم، فقد نزلت بهم نوازل، كان لا بد فيها من اجتهاد، فاتفقوا في أمور، واختلفوا في أخرى، تبعا لقواعد الشريعة وأصولها، كما يفهمها هذا الصحابي أو ذاك، ثم تلا ذلك عصر التابعين، فلم تتغير فيه الأحوال كثيرا، ثم جاء عصر الأئمة المشهورين، فبدأت الأمور الفقهية تأخذ منحى جديدا، تمثل في ظهور مدارس فقهية مختلفة، ومناهجَ استنباط متعددة، وبدأ تدوين القواعد المنهجية لاستنباط الأحكام، واجتهد العلماء في التأليف والتصنيف، من أجل بث علم هؤلاء الأئمة، لكن سرعان ما دخل الجدال والحجاج مجالسَ الدرس، وكتبَ الفقه، وبدأ التأليف ينحو منحى المناصرة والمناظرة بإظهار الحجج والأدلة لنصرة هذا القول أو ذاك، بقواعد العلم، وأصول الحجاج، ثم بعد مدة من الزمن جاءت مرحلة الاختصار، وكان الهدف منها تيسيرَ حفظ المسائل، وتسهيلَ استحضار الجزئيات التي يكثر وقوعها والسؤال عنها، وهو ضرب من التأليف، ونوع من التصنيف، رضيه العلماء، واستحسنه الفقهاء، لكن بعض الناس خفيت عليهم بعض أصول مسائله، وأدلة فروعه، فتسرعوا في رفضه وإنكاره، وقد رد هذا الإنكار العلامة بن مناد فيما نقله عنه البرزلي في الفتاوى فقال: "والعلماء في موضوعاتهم الشرعية على ثلاثة مقاصد، منهم من ألف كتابه في الحديث خاصة ضبطا للسنة كمسلم، وابن أبي شيبة في مسنده، وعبد الله بن وهب، وأبي داود، والنسائي وابن راهويه والبزار والآجُرِّي وابن مَخْلَد وغيرهم.

ومنهم من جمع بين الحديث والفقه، فيذكر الحديث أول الكتاب ويبني عليه الفقه كحَمَّاد بن سلمة ومالك بن أنس في موطئه والشافعي والحنفي والبخاري وأصحاب المصنفات كابن أبي شيبة في مصنفه وابن المنذر وغيرهم.

ومنهم من يذكر الفقهَ خاصة مجردا عن الأحاديث كالنووي والقُدُوري وإسماعيل القاضي وابن عبد الحكم والقَعْنَبي وابن أبي زيد والمُزَني وابن الجلاَّب والعُتْبي، وربما قدم بعضهم الحديث ويذكر أصل الباب وهو قليل، ولم يروا ذلك غريبا، ولا من غير الشرع، وكلهم على هدى وصراط مستقيم.

ثم قال: وقد ألف بعضهم ردا على مسائل الفقه الفروعية في فرضهم المسائل، وقولهم: أرأيت كذا المسألة، ويرى أن هذه الفروع ليست من الشرع، وأنها غير مُخَرَّجَةٍ من الكتاب والسنة، لمَّا تجردت عن الأدلة، أو خفي عليه دليلها أو بعضها، وكلامنا إنما هو مع من له ذوق من العلم ومعرفة شيء من الفقه، فأما من لم يذق فإنما هو جاهل لا يعرج على قوله، ولا يُلتفت إلى رأيه؛ لأنه إذا أخذها مسألة مسألة ما يجد منها شيئا يخرج عن أصل شرعي، وقد لا يظهر في قليل من مسائلها عنده دليل فيكون قد خفِيَ عليه، وهذا معلوم عند أهل الحديث، والعلم، ومن تلاهم من المتأخرين الناظرين نظرهم والتابعين إثرهم" انتهى كلامه. (فتاوى البرزلي 372/6 - 373)

ثم إن هذا الفقه الإسلامي عموما - والمالكي خصوصا- عرف حالات مد وجزر في مراحل تاريخية مختلفة وتعرض لمتاعب شديدة، ومحن عديدة، منها محنته القاسية على يد العبيديين الشيعة في القيروان، الذين منعوا تدريسه ودراسته، ونكلوا بعلمائه وطلبته، إلى درجة أن ابن خيرون قتل رفسا بالأرجل، ومنها محنته على يد بعض أمراء الموحدين الذين أحرقوا كتبه، وأبعدوا حملته، ومن ذلك ما يتعرض له اليوم من محن مختلفة، منها ادعاء أنه لم يبن على أساس متين، من أدلة الشرع وقواعد الدين، وعلى رأسها كتاب الله وسنة النبي الأمين، صلى الله عليه وسلم، وليس الأمر كما ظن هؤلاء، فإن الفروع والمسائل ثمرة أصول الشريعة، وخلاصة النظر فيها، قال ابن مناد رحمه الله: اعلم أن مسائل الفقه المشهورةَ بالفروع عند العلماء ثمرةُ أصول الشريعة التي هي الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقيامُ عليها، منها استنبطت وعليها تفرعت، ذكر ذلك جملة من العلماء، وهو فائدة قوله عليه الصلاة والسلام: رب مبلَّغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" انتهى كلامه. (فتاوى البرزلي 370/6)

ويظهر لي -والله أعلم- أن الفقه يحتاج اليوم، خصوصا بعد أن كلت الهمم، وضعفت العزائم، إلى تحبيبه للناس وترغيبهم فيه، وذلك ببيان حقائقه الرائعة، وعرضها في صورة جميلة، وحلة بهية، من أسلوب شيق، وعنونة للقضايا، واستدلال للمسائل، وربط للأصول بالفروع، وما إلى ذلك مما يبين محاسنه للسامع، ويجلي حقائقه للدارس والمطالع، وهذا البحث الذي وفقني الله عز وجل للقيام به يأتي في هذا السياق.

وقد قسمته إلى قسمين:

القسم الأول في الدراسة، واشتمل على فصلين:

فصل أول تمهيدي، وتحدثت فيه عن دوافع اختياري لهذا الموضوع، وعلاقتي بالمختصر الخليلي، والحاجة إلى الاستدلال.

والفصل الثاني خصصته للحديث عن المؤلِّف والمؤلَّف.

المؤلف من حيث ترجمته من كل جوانبها، وبكل تجلياتها، والمؤلف من حيث قيمته ومميزاته وشروحه وما قيل فيه،

وأما القسم الثاني التطبيقي فهو الذي تعاملت فيه مباشرة مع ألفاظ المختصر تقعيدا وتأصيلا، فقسمته إلى أربعة كتب تبعا لتقسيم المؤلف رحمه الله، ثم قسمت كل كتاب إلى فصول ومباحث قد تقل أو تكثر، وقد تطول أو تقصر، تبعا للأصل.

وإن هذا البحث وصل بتوفيق الله تعالى، إلى خلاصات أزعم أنها طيبة، جاءت على الشكل التالي:

أولا: الخلاصات

يمكن للناظر في هذا العمل أن يخلص إلى ما يلي:

1. أن فقهاء الأمة فوفقهاءُ المالكية جزء مهم منهم- لم يكونوا واضعي فقه، وإنما كانوا مستنبطي أحكام بقواعد منضبطة، وآليات محكمة.
2. أن هذا العمل يجيب عن عدد من الأسئلة والقضايا الفقهية المعاصرة في الزكاة والصوم والحج.
3. أنه خطوة في اتجاه إعادة ثقة الباحثين بالفقه الإسلامي عموما والمالكي خصوصا.
4. أن هذا البحث يرد شبه الزاعمين بأن الفقه مجرد فهوم، وذلك بربطه بين تلك الفهوم والوحي الذي استنبطت منه.

ثانيا: النتائج:

من النتائج التي وصل إليها البحث بحمد الله تعالى وتوفيقه ما يلي:

1. بيان قدم الشيخ خليل رحمه الله الراسخة في العلم، ومكانتِه الرفيعة عند العلماء.
2. بيان أهمية المختصر ومنزلته التي لا تضاهى في المذهب، فهو الثالث بعد الموطأ والمدونة.
3. بيان الانتشار الواسع للمختصر في الآفاق، وتغلغله في العقل الجمعي للمجتمع.
4. وضعُ تكشيف علمي لأكثر من ثلاثمائة وألف مسألة فقهية.
5. جمع هذا البحث بين الفروع وأصولها، والأحكام وأدلتها، في أزيد من ثلاثمائة وألف مسألة.
6. جمع هذا البحث لأكثر من ثمانين وثلاثمائة قاعدة فقهية وأصولية، وتطبيقُها على فروع وجزئيات متعددة.
7. تشجيع الباحثين في المجال الفقهي من المتخصصين وعموم الناس على النظر في المختصر، والاستفادة من فروعه ومسائله.
8. إعانة الباحثين على الوصول إلى الجزئية الفقهية التي يبحثون عنها في لحظات معدودة وذلك بالرجوع إلى فهرس المسائل..

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : ....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 -الدكارات فاس -المغرب

العالم النووي الباكستانى د. عبد القدير خان يفجر مفاجاة عن مرسي

كشف العالم النووي الباكستانى د. عبد القدير خان عن حقائق خطيرة عن أسباب الإطاحة بالرئيس مرسى من منصبه على يد الجيش، وما جرى في مصر خلال الأشهر الماضية، وعلاقة المؤامرة التي حاكتها أمريكا والكيان الصهيونى بالتعاون مع عملاء الداخل للانقلاب على مرسى

وقال أبو القنبلة الذرّية الباكستانية فى نص شهادته التى كتبها على موقع التواصل الاجتماعي: إن الرئيس مرسى سافر إلى روسيا والهند وباكستان وما لا يعرفه كثيرون أن الرئيس مرسي اتفق مع الروس على إعادة تشغيل مفاعل نووي مصري بتخصيب يورانيوم، يسمح بتوليد الكهرباء، وإنشاء مفاعل آخر تتسلمه مصر بعد ثلاث سنوات لذات الغرض.

وأضاف قائلاً: كنت أود أن لا أتكلم فيما يخص الشأن المصري ولكن حقيقة الأمر يجب أن يعرفها الشعب، ويقرر المصريون بعدها مصير الرئيس مرسي، مضيفا هل يعلم المصريون أن نتائج هذه الزيارة هى أكثر ما أرعب الغرب، وأبسط ما كانت مصر ستستفيده هو انتهاء مشكلة الكهرباء في مصر الى الأبد، الى جانب تصدير كهرباء تكفي لإضاءة قارة إفريقيا.

وتابع يجب أن يعلم المصريون أن مصر تسلّمت في عهد الرئيس مرسي غواصتين ألمانيتين، وضغط الكيان كثيرا على ألمانيا حتى لا تمتلك مصر مثل هذه الغواصات، وهى القادرة على ضرب حاملة طائرات، إذا امتلكت مصر الصواريخ المناسبة للغواصتين.

وأوضح أن كثيرا من المصريين لا يدركون معنى أن تمتلك مصر قمرا صناعيا عسكريا يكشف لها شوارع الكيان الصهيونى بالكامل، وهو مزود بتقنيات لتحديد أهداف الصواريخ، وهذا ما كان مرسي قد اتفق عليه مع علماء الهند، ولولا الانقلاب لأصبحت مصر اليوم على مقربة من امتلاك القمر، كما أن هناك الكثيرين الذين لا يعلمون أن الرئيس مرسى قال للرئيس "بوتين" إن مصر في حاجة إلى صواريخ، ووافقت روسيا بشكل رسمي على إبرام صفقة صواريخ، كانت كافية لتحويل "تل أبيب" إلى كتلة من جهنم على الأرض في حالة نشوب حرب.

وكشف خان عن إرسال الرئيس مرسى ضابطاً برتبة لواء بالجيش المصري يدعى "الطرّاز" للتفاوض بشأن الصفقة، إلا أن الضغوط الأمريكية على قادة الجيش كانت السبب في إفشالها، وعلى المصريين أن يدركوا أن مصر كانت في عهد مرسي على وشك الاستقلال وسيادة القرار والتحرر من التبعية للغرب

وأشار إلى أن مصر ليست في حاجة إلى قنبلة نووية مثل إيران التي تفعل المستحيل لكي تمتلك صاروخا مداه 2500 كيلو حتى يصل إلى الكيان الصهيوني. في حين أن مصر تستطيع أن تضرب الكيان بأرخص صاروخ في سوق السلاح. والرئيس مرسي كان قائداً يدرك جيداً أن امتلاك مصر للصواريخ سيشل يد وقدم الكيان الذي لا يساوى محافظة مصرية واحدة في المساحة.

ووجه كلمته إلى المصريين قائلاً: أيها المصريون الشرفاء لا يزال الأمل قائما، ما دامت إرادتكم غير مكسورة، وصمودكم فولاذيا، استعينوا بالله واصبروا ولا تستسلموا أبدا، فالحق أقوى من أي سلاح، واعلموا أن باكستان التي تمتلك اليوم قنبلتها النووية قد نجت من العبودية والاستعمار لأنها طبقت قول الله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.

خروق في سفينة المجتمع 34

خرق التطاول على لغة القرآن الكريم

د. عبد المجيد بنمسعود

لكل سفينة لسان، به يتواصل أهلها ويتفاهمون حول أغراضهم وما به قوام أمرهم وتماسكهم واستمرار وجودهم الآمن على ظهر تلك السفينة، بما يعني أن ذلك اللسان هو ترجمان أفكارهم وعواطفهم وأهدافهم وآمالهم، والمشكل لذاكرتهم الحية ووجدانهم النابض، إنه بمثابة الشفرة الدقيقة التي تحمل أسرار الوعي لدقائق الوجود وخبايا الحياة، ومن ثم خطورة أمره في حياة سفينة أمة من الأمم.

هذه قاعدة عامة لكل الشعوب، تمثل سرا من أسرار الله، ففضلا عن كون اللسان هبة من الله جلت قدرته للإنسان، فإن الاختلاف فيه بين الأقوام والشعوب آية من آياته في خلقه، مصداقا لقوله تعالى:"ومن آياته خلق السموات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين".

أما إذا تعلق الأمر بلسان العرب، فهو آية الآيات، على مستوى اللغات، لأنه اللسان الذي ارتضاه خالق الكون والإنسان، ليحمل آخر بلاغه لبني الإنسان: كلمات القرآن، يقول سبحانه وتعالى:" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"(يوسف:2) " وذلك لأنه لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان" كما يقول ابن كثير رحمه الله.

يترتب على هذه الحقيقة العلمية الناصعة، أن الإيمان بشرف اللسان العربي، يعتبر أمرا لازما عن الإيمان بقداسة القرآن الكريم، ومن ثم فإن النيل من ذلك اللسان، بأي شكل من أشكال البخس والتنقيص، يعتبر تطاولا على قداسة القرآن الكريم، وسوء أدب مع الرحمن خالق الإنسان معلمه البيان. أتوجه بهذه الحقيقة، بل وأقذف بها بقوة، في وجه الذين يخوضون حربا شعواء ضد العربية في هذه الأيام، هؤلاء الذين وإن اختلفت أساليبهم في الهجوم على لسان القرآن الكريم، فإنهم يصدرون عن دواعي مشتركة، يجمعها الحقد عليه، وعلى الرسالة العظمى التى يحملها للناس كافة، هداية ورحمة وشفاء. ولن يشفع لبعض شانئي اللغة العربية العصماء، أو يخفف من انطباق وصف الخيانة والعدوانية عليهم، ما يزعمونه من نصح كاذب للعربية وأهلها، فقد زعم أحدهم في مقال له على صفحات مجلة "هسبرس" الإلكترونية تحت عنوان:" رِفْقاً باللغة العربية أيها التعريبيون، رجاءً لا تقتلوها بتعريبكم المجنون" أن الطريقة المثلى لخدمة اللغة العربية- التي يصفها بأنها نصف حية- هي أن تجرد من وظيفة تدريس المواد، أدبية كانت أوعلمية، ويقتصر على تدريسها باعتبارها لغة ليس إلا، على أن تعيش في حمى لغة حية، يفضل أن تكون هي الفرنسية، نظرا لكونها لغة التخاطب اليومي، ولالتصاقها بوجدان الشعب، جراء حقبة الاستعمار، وأفضل من ذلك أن تعيش العربية – في نظر هذا الناصح الغريب- في كنف اللغة الأمازيغية، لو أنها توجد في وضع يؤهلها لذلك، لأنها اللغة الأم للمغاربة بامتياز، فهو يبارك خطوة فرنسا و ينحي في المقابل باللائمة على الحركة الوطنية ويجردها من صفة الوطنية الحقة لأنها قطعت الطريق على نمو الأمازيغية وحرمتها من الصدارة والهيمنة على مسار التعليم، يقول:" كانت فرنسا قد شرعت في تدريس الأمازيغية في فترة الحماية. فلو أن "الحركة الوطنية" كانت وطنية حقا، لحافظت على هذا التدريس ونمّته وطوّرته، ولكانت لدينا، بعد مدة معقولة، لغة وطنية مؤهلة للاستعمال المدرسي وهي اللغة الأمازيغية".

ويضرب صاحب المقال عرض الحائط بكل الأسباب الموضوعية التي كانت ، ولا تزال، وراء الوضع الصعب الذي تعاني منه اللغة العربية، وينساق وراء تفاسير وتعليلات وهمية يحاول إلباسها لباس المنطق، والحال أنها لا تعدو أن تكون دعوى إيديولوجية فجة أملتها العصبية والهوى.

أما الذين يتصدون للغة القرآن الكريم بوجه سافر، وبدون أصباغ، فهم الذين يدعون بلا مواربة، لأن توضع العربية على الرف، وتسلم أمانة التربية والتعليم للعربية الدارجة، فهي الأجدر بأن تنقل المنظومة التعليمية من تخبطها المريع، وتفك عنها عقدها وتوصلها إلى بر الأمان. ويبرز كمثال لما تبذله تلك الجبهة المناوئة للغة القرآن وثقافة القرآن من جهود تخريبية: "ملتقى زاكورة الدولي الذي نظمه رجل الأعمال نور الدين عيوش "في بداية أكتوبر 2013 وحضرته شخصيات وازنة في هرم السلطة السياسية والتربوية بتوصيات أبرزها تحديث التعليم الأولي والتراجع عن التكوين الديني باللغة العربية أو على الأقل التقليص من حفظ القرآن والانفتاح على اللغات واعتماد بيداغوجيا اللعب وتنمية المواهب والتربية على الهوايات ثم التراجع عن تعريب المواد العلمية في الطورين : الإعدادي والتأهيلي واعتماد التدريس باللغة المغربية المتداولة(العامية) مع الدعوة إلى تقعيدها وإعدادها كبديل للعربية الفصحى وتوسيع قاعدة تشغيل اللغة الإنجليزية واعتبارها مادة العلوم والتقنيات والانفتاح على لغات جديدة إلى جانب الفرنسية كالإسبانية والصينية"(انظر مقال: نافذة على المدرسة العمومية : لغة التدريس أم لغة التواصل الديداكتيكي ؟ المنشور بهسبرس) .

إنه لكيد كبير ومكر كبار، أن تحرم اللغة العربية من شروط سليمة للعمل، وأن لا تفسح أمامها الطريق لتخرج مكنوناتها للناس، بل أن توضع أمامها العوائق والمثبطات والعقبات، ثم يقال إنها قد أخفقت في بلوغ ما أنيط بها من أهداف، إنها خدعة مكشوفة تمارس على كل المستويات، ليقين أعداء القرآن، ولغة القرآن الكريم، بأنه إذا خلي بينه وبين واقع الناس، سيريهم العجب العجاب، وسيفرض وجوده على أولي النهى والألباب.

إنها أصوات مشبوهة – إذن – واضحة العداء، تسعى إلى ترسيخ حركة الردة والنكوص حتى عن بعض المكاسب البسيطة في ميدان التعليم، وإلى اللغو والتشويش على جهود المخلصين، وسط مناخ ملغوم تعددت فيه المؤامرات والمحن، وتضافرت المعاول، لتتخن في سفينة الأمة خروقا وفي أهلها جراحا، لن يتوقف نزيفها إلا بالتصدي المنهجي الحازم، لتلك الأصوات الناعقة، لتطهير المشهد من المنغصات والمثبطات، ولتهب رياح الخير رخاء على سفينة الأمة، لتجري في مسارها اللاحب الرصين، نحو أهدافها السامية المقدسة، شراعها في ذلك الإصرار واليقين، وزادها هدى القرآن ولغة القرآن.

المحافظة على الفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل

5

ثمار التقرب

ذ. رشيد الميرّ

إن القيام بالفرائض في جميع نواحي الحياة إحسانا وإيمانا واحتسابا والإقبال على النوافل محبة ووفاء يستجلب معية الله عز وجل ومحبته ومحبة الملائكة والعباد.

ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال ﷺ: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»(1) .فمن خلال هذا الحديث القدسي العظيم المليء بالدروس والعبر نقتطف منه بعضا من النفحات الإيمانية.

أ- **إن النوافل تقوم بتطهير آليات الكسب -المدخلات والمخرجات-** (اليدان- الفم- اللسان- الأذنان- الرجلان..)، وهي الجوارح التي تشهد كل ما ا قترفه العبد ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(ياسين : 65) ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(النور : 24) ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(فصلت : 20).

ب- وإن الإقبال على النوافل يزكيها ويمنح لها الزاد الأساسي من العبادة:

■ **العين:** النظر إلى ما أحل الله،" فإذا أحببته كنت..... وبصره الذي يبصر به" ويهبه البصيرة وبعد النظر وحسن الفهم وصدق الفراسة.

■ **الأذن:** الاستماع إلى ما أحل الله (القرآن..) " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به" ويزوده بآليات استقبال بميزان التحليل والرصد وضبط ما يتلقاه من أخبار ومعلومات "ولا تقف ما ليس لك به علم" "إذا جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا"

■ **اليدان:** الإنفاق والبطش في سبيل الله. "ويده التي يبطش بها".

■ **الرجلان:** الذهاب إلى مجالس الذكر.."ورجله التي يمشي بها".

■ **القلب:** عليه مدار الأفعال."...ورجل قلبه معلق بالمساجد" كأنه الثريا يتزود ويشحن بالطاقة ويصبح في آن واحد يشع النور على الآخرين. وعلى قدر القرب والتزود وتكرار الوصل يكون قطر الشعاع ودائرة الإشعاع. وعلى قدر الولاء يكون العطاء.

ت- **وإن التقرب إلى الله يزكي العقل ويحرره من أسر الهوى** وأغلال الظن والشك ويمده ببصائر الوحي والهدى النبوي قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا﴾ وهذه الهداية تثمر التقوى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾. فتصبح لباسا للعبد ﴿ولباس التقوى خير﴾.

ث- **وهو مجلبة لمعيته وولايته وحفظه** "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب".

ج- استدرار محبة الله على العبد «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه». وعن النبي ﷺ قال : «إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلاناً، فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(متفق عليه).

وإن الصلاة مدار الأمر كله وعمود الدين وبواسطتها نبني عبد الله من بني آدم الموصول بالله وفق المنهج القرآني، تتداخل فيها باقي الشعائر فتتجسد فيها مجموعة من الصفات لبناء جسم متكامل معافى وموحد كالبنيان المرصوص...

فمن خلال شعيرة الصلاة نتعلم ونتزكى لنصير لبنة داخل بنيان الصف المرصوص فنتخلق بصفات جامعة. لا تستنكف لبنة أن تحمل لبنة أخرى في أي موضع كانت داخل الجدار. ومن خلال الممارسة التعبدية لشعيرة صلاة الفريضة تتجلى هذه الصفات.

1- الضبط والانضباط، فلها ضوابط قبل الأداء وأثناء الأداء، ضبطت زمانا ومكانا وهيئة، والمصلي ليس له إلا أن يضبط إيقاع حياته وفق زمن الصلاة طوال اليوم والليلة وينضبط للقيام بها بركوعها وخشوعها.. وإلا اختل ميزان حركته في الوجود وكان له الأثر السيئ على نفسه والمحيطين به.. قال تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا﴾ وقت مضبوط وإنسان منضبط لإيقاع الكون ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾(مريم : 93).

2- وهي كذلك تحقق للإنسان الانتماء للجماعة من خلال اندماجه التلقائي في الصف محققا الصفة الأخرى وهي الطاعة التامة للإمام والاقتداء به واتباعه لأنها من طاعة الله.

3- ويمكن للمأمون أن يقوم بتقديم النصح للإمام إن هوأخطأ تذكيرا وتوجيها أو أن يقوم مقامه لعذر وذلك

تتمة ص: 13

شرح الأربعين الأدبية (23)

د. الحسين زروق

في إنشادِ الشِّعرِ في المسجد (2)

وقفنا في الجزء السابق وقفات مع الحديث النبوي الذي **رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه ضالة، وأن ينشد فيه شعر، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة(1).**

ونواصل في هذا الجزء حديثنا عن جوانب أخرى للحديث نفسه.

ينبغي أن ننتبه إلى أنه يمكن فهم حديث الباب بروايتيه والحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فهما مختلفا، وهو أن حالة حسان رضي الله عنه حالة خاصة، وأن النهي قد يكون أتى بعد الإباحة، وبعد زوال أسبابه، ومنها ظروف الحرب التي كان يعيشها المجتمع المسلم، وهي ظروف استثنائية لا يمكن تعميمها على حالات السلم، فيكون النهي قد ورد بعد خروج المسلمين من تلك المرحلة الصعبة، وهو للإنصاف فهم ممكن، ومقبول، ولكن النظر إليه من زاوية سيرة الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين في المسجد يجعله مرجوحا، ويكفينا في ذلك ثلاثة آثار:

أولها ما رواه حارثة بن مُضرب بسند صحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إذا رأيتم الشيخ ينشد الشعر في المسجد يوم الجمعة ويذكر أيام الجاهلية فاقرعوا رأسه بالعصا»(2)، وفيه أن الأمر لا يتعلق بمجرد إنشاد للشعر في المسجد» بل بإنشادٍ موصوف بثلاث مسائل: فهو أولا من لدن شيخ، وهو ثانيا يوم الجمعة، ثم هو ثالثا مرفوق بذِكْر أيام الجاهلية، فظهر أن الإنشاد ليس هو المقصود» بل المقصود أساسا انشغال الشيخ في المسجد يوم الجمعة بالشعر عن الذكر.

وثانيها ما رواه ابن أبي شيبة في كتاب الأدب، قال: «حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عيينة بن عبدالرحمن، عن أبيه قال: «كنت أجالس أصحاب رسول الله ﷺ في المَسجد فيتناشدون الشعر، ويذكرون حديث الجاهلية»(3)، وهو أثر صريح في أن الصحابة كانوا ينشدون الشعر في المسجد.

وثالثها ما رواه ابن أبي شيبة أيضا في كتاب الأدب، قال: «حدثنا يزيد، أخبرنا هشام قال: سأل رجل محمدا وهو في المسجد والرجل يريد أن يصلي: أيتوضأ من يُنشد الشعر؟ ويُنشد الشعر في المسجد؟ قال: وأنشده أبياتا من شعر حسان ذلك الدقيق ثم افتتح الصلاة»(4)، وفيه أن محمد بن سيرين أجاب السائل بإنشاد الشعر في المسجد، ثم بدأ صلاته، ليشعر السائل عمليا بجواز ذلك.

فهذه آثار دالة على أن أمر الشعر في المسجد غير مذموم، وإنما المذموم بناء على حديث الباب أن يؤدي تداول الشعر في المسجد إلى تعطيل وظيفته الأولى وصرف الناس عنها، فحينها لا يتعلق الأمر بالموقف من الشعر» بل بالإفراط فيه، والمقصود من كل ذلك أن المقام لا يَسمح بمثل هذا السلوك.

وأما المسألة التربوية فتُفهم من التوجيه النبوي للمسلمين على أن يُجَنِّبوا مساجدهم ما يُعطل وظيفتها، وهو توجيه يَهدف إلى أمرين:

أولهما تربية المسلمين على توقير المساجد، واحترامها، والحفاظ على مكانتها ووظيفتها.

وثانيهما تقوية مناعة لدى المسلمين تجعلهم لا يستسيغون أن يمارسوا عددا من الأمور داخل المساجد مما ينبغي أن يُمارس خارجها.

ثم إن الحديث يُضيف إلى ذلك أنه يُربيهم على تحمل المسؤولية، إذْ تَنْزيه المساجد عما يؤثر في وظيفتها، لا يقتصر فقط على المناعة التي تجعل المسلم يمتنع عن أن تصدر عنه مثل تلك التصرفات» بل يضيف إليها -مراعاة للطبيعة البشرية، وتفاوت الناس في القابلية لتلك المناعة وتمثلها داخليا- تحميل المسلمين مسؤولية تنزيه المساجد عن ذلك حماية لمكتسباتهم الإيمانية، ومؤسستهم الربانية.

1- سنن أبي داود، 283/1، حديث رقم 1079، ك.الصلاة، ب.التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة. وقد رواه الترمذي في سننه وحسنه. ن. صحيح سنن الترمذي، 191/1، حديث رقم 322 ك. الصلاة، ب. ما جاء في كراهية البيع والشراء وإنشاد الضالة والشعر في المسجد، كما حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (م.س)، وفي صحيح سنن ابن ماجة، 231/1، حديث رقم 756/614، ك. المساجد والجماعة، ب. ما يكره في المساجد.

2- المطالب العالية، 101/1، خبر رقم 363، كتاب الصلاة، باب صون المسجد. وقد علق عليه المحقق في الهامش الخامس بقوله: «قال البوصيري: رجاله ثقات».

3- كتاب الأدب، ص: 378، أثر رقم 409، باب استماع النبي ﷺ الشعر وغير ذلك. ويزيد ثقة (تقريب التقريب، 286/2)، وعيينة صدوق(م.س، 82/2)، وأبوه عبدالرحمن بن جوشن ثقة(م.س، 356/1).

4- م.س، ص: 380، أثر رقم 412، باب استماع النبي ﷺ الشعر وغير ذلك. ويزيد هو ابن هارون، وقد سبق، وهشام هو ابن حسان، ثقة، وهو من أثبت الناس في ابن سيرين(تقريب التقريب، 244/2).

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

الحب في الله هذه القيمة الغالية الغائبة

من المقالات العميقة التي قرأتها مؤخرا، مقال للكاتب العراقي أديب الصباغ بمجلة "حراء" تحدث فيه عن مفهوم الغربة ودلالاتها الإيجابية في حياة المسلم باعتبارها مؤشرا على سلامة إيمان المرء إذ تتعارض قناعاته العقدية وقيمه الروحية المرتبطة بالله عز وجل مع قيم الحضارة المادية المبنية على الأنانية والنفعية، الشيء الذي يتولد معه الشعور بالغربة ، وهذا الشعور قد يكون مدعاة إلى الانطواء والانعزال حين يكون الفرد مفتقدا للحس الرسالي، أما في حالة التزام الفرد بالعقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على مفهوم الإيمان المقرون بالعمل الصالح ، فإن غريب الأمة يغدو " مستطاب الغربة "وبمثابة "حاسة الأمة السادسة" في سعيه لوضعها على سكة الصراط المستقيم كما يقول الكاتب أديب الصباغ.

وقد رجتني بل وألمتني في مطالعاتي الأخيرة ، دراسة أكاديمية لظاهرة انتحار مشاهير الغرب من عظماء ومفكرين وفنانين ، وكان لافتا حجم الجنوح الفكري المعجون بمشاعر القلق الذي يدفع بهؤلاء المشاهير إلى الزهد في الحياة والتفكير في التخلص منها ، ويستوي في ذلك المثقفون والعوام، وهم كثيرون نذكر من بينهم الكاتب الأمريكي إرنيست همنجواي والكاتب النمساوي ستيفان تسفايج والكاتب القصصي إدكار ألان بو والفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير إلخ ومن الأغنياء الملياردير كريستيان أوناسيس وغيرها...، أما عن مشاهير الفن الغارقين في الثراء الفاحش والذين يقتلون أنفسهم بالارتماء من شاهق أو أخذ جرعات زائدة من المخدرات والكحول فحدث ولا حرج ..

وظاهرة الانتحار هذه من أوضح الدلالات على إفلاس المنظومة المادية التي اعتمدها الغرب في إقلاعه الحضاري، إذ أسفر التهليل والتكبير للمنجزات العلمية والتكنولوجية التي بشر بها الغرب العالمين واعتبرها بمثابة الخلاص من عذابات الإنسانية ، عن ظواهر مؤلمة من النكوص والتردي في غياب الدين رغم كل المساحيق التجميلية ، وشعارات التغني بالحرية والحقوق والحب في كل مظاهره حتى الشاذ منها، التي ظل الغرب يسوقها للعالم باعتبارها قيما كونية ، فجاء انتحار زبدة المجتمع من الذين وضعوا الأسس الفكرية لتقدمه مُرفَقا بشهاداتهم القوية حول رفضهم لهذه القيم عند موتهم ليضرب برصاص الحق فقاعات التفوق الحضاري الغربي المجرد من قيم الدين الشمولي في تنظيمه لكل مظاهر الحياة.

فلا الفكر الذي أطر هذا التقدم نفع مروجيه بله الحائرين من العوام، ولا مظاهر الترف الفاحش أنجت من مشاعر الاكتئاب والقلق والوحشة ، ولا هي سكبت السعادة المبشر بها في الأنفس الشقية المعرضة عن ذكر الله تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور﴾.

وإذا كانت حضارة القلق هذه كما يسميها عالم النفس سيجموند فرويد وحضارة العبث واللا جدوى كما يسميها الفلاسفة الغربيون الوجوديون قد أفرزت كل هذه المظاهر السلبية علما بأننا لسنا بصدد شيطنتها ورفضها بالمطلق فلمساتها العلمية الإيجابية حاضرة في الكون كله، فإن حضارتنا الملقحة ضد عوامل الهدم الذاتي هذه يجب أن تكون ملاذ كل الحائرين من الغربيين.. وعلى المسلمين الراشدين مفكرين وعاملين في حقل الدعوة والتنمية البشرية وحقول المعرفة الأخرى أن يطوروا أداءهم ومستوى عطائهم في عرض سلعة الله الغالية بابتكار طرق وأساليب أكثر جاذبية وإغراء لاحتضان آلاف الحيارى والأشقياء نفوسا من الغربيين ، مع استحضار قيم التسامح والرحمة والحب في الله سبحانه لاستنقاذهم من إشعاعات الحب في النفس، الذي خلف كل هذه الخسارات في الأرواح .

وإذا كان رسول الله ﷺ قد حزن وتألم لموت يهودي على غير دين الإسلام، وهو الذي عذب وسفه وحقر مع صحبه الكرام ، ليصلنا الدين على آنية من ذهب ، فكيف بحالنا نحن الذين يموت بيننا في مجتمعنا الإسلامي ومن أبناء جلدتنا العشرات من المنكرين لدين الإسلام، بل ومن المدافعين عن التنصير وقيمه المسيحية المبنية على تعاليم مزيفة بل المنتصرين لقيم الإلحاد ونفعها للعالمين يا حسرة!

ومقابل هذه الصورة القاتمة، هناك ثلة من المفكرين والعلماء وحتى من الساسة الغربيين كانوا أكثر شجاعة وجسارة لاستجلاء الحق ، وقادتهم حملة بحثهم وتأملهم في قضايا الوضع الإنساني إلى موطن الداء وتوصلوا إلى التشخيص الناجع لآلام الإنسانية الجديدة التي دججت بيوتها وفضاءاتها بأرقى وسائل التكنولوجيا لتيسير الحياة البشرية وأهملت روحها فغيض ماؤها وجف ضرعها فتسرب الجفاف إلى الجسد كله وكانت النتيجة أن استوطن القلق والإحساس بالعبث والفراغ والسأم نفوس الحائرين وباتوا ينشدون الخلاص في الانتحار بكل أشكاله ..

وحول مسار هؤلاء المعتنقين الصادقين سنتوقف في حلقات قادمة بإذن الله لنضرب عصافير (بالخير طبعا) بحجر خير واحد، ليعرف المشككون في عظمة هذا الدين من أبنائنا حجم خسارتهم، إذ يتمسك بهذا الدين الغرباء، مواجهين كل عواصف الاستنكار من ذويهم في حين يشحذون هم الأبناء سيوف الاستهزاء والاحتقار والتشويه ، معرضين بل جاهلين بقوله تعالى ﴿إن الله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

المحافظة على الفرائض..... (تتمة)

حرصا منه أن لا تتعطل هذه الشعيرة.

4- وفي اتباع الإمام نتعلم إسناد الأمر إلى أهله وعدم منازعة الأمر أهله لأن الإمام جعل ليؤتم به وقد أنيطت به هذه المهمة لما تميز به من مواصفات تؤهله للقيام بهذه الوظيفة على أكمل وجه.

5- كما أن الإقبال عل الصلاة عند سماع الأذان يجسد الفهم الصحيح والسليم لسلم الأوليات : أن ما عند الله خير وأبقى ﴿...استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

6- وأن الاستجابة الفورية لنداء الإيمان تتجلى فيها أكبرية الله في قلب المؤمن"فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع" استجابة لنداء الصلاة الذي يعلن على أسماع الوهاد "الله أكبر"، وتظهر فيها مدى جاهزية الفرد واستعداده للحركة الدائبة والمبصرة اتجاه نداء الأكبرية.

7- ومن خلال الصلاة فرضا ونفلا يجد المؤمن الأنس والسكينة تذللا وتضرعا ومناجاة حتى إذا ما ذاق حلاوة القرب فإنه لا يمكن له الاستغناء عن ود الحبيب القريب المجيب"إذا سألك عبادي عني فإني قريب..." فتصبح مجاهدة النفس على ملازمة هذا السبيل لرضا الله عز وجل الشغل.

فمحبة الله عز وجل هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح. أوصت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم : " تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون".

وأخيرا فإن الهدف من هذه الصفات هوبناء "عبد الله"، بناء تكون الآخرة فيه هي الباعث له ليسير في الأرض على بينة داعيا إلى الله على بصيرة محتسبا كل ما يلاقيه في سبيل الله لعلمه أن مبتغاه هو رضى الله عز وجل، لا يريد منصبا ولا جاها وإنما يستشعر مسؤوليته ووظيفته من خلال انصهاره الكلي في نسق مجتمعي يتكامل أفراده كل حسب قدراتهم لتحقيق الخيرية في الأرض.

جعلنا الله من الصادقين ومع الصادقين ومن المخلصين ومع المخلصين آمين

1- رواه البخاري

2- البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومضة

ذة. نبيلة عزوزي

3- كان قلبه معلقا به..!

يعبر الدروب الطويلة إلى المسجد.. يتردد في سكون الليل صدى صوت عكازه على الأرض.. يستيقظ الناس لصلاة الفجر على وقْع صوت عكازه.. ها هو العم قاسم يتوجه نحو المسجد ليفتحه... صاروا يعرفون توقيت الصلاة، كلما رأوه في رحلته الدؤوبة تلك .. يعرفون أن وقت الآذان يقترب.. فيستعدون للصلاة...

رجل بسيط محب.. تعلق قلبه بالمسجد لعقود.. هو من يفتح المسجد ويتعهده تطوعا.. لم يتخلف عن الصف الأول.. يسوِّي الصفوف.. ينصت باهتمام لخطب الجمعة والمواعظ.. فإذا سلم من الصلاة احتضن المصلين باكيا داعيا.. تعلق به الناس.. أحبهم وأحبوه.. قلبه الأبيض الناصع البياض لا يعرف حقدا ولا كراهية.. وجهه البشوش لا تفارقه ابتسامته.. يسارع إلى عيادة المرضى.. وكما تعود تسوية صفوف المصلين يصلح ذات البين..!

افتقدت الحومة صوت عصاه.. غاب عن المسجد.. لم يعد الناس يعرفون اقتراب مواقيت الآذان.. تساءلوا عن سر غيابه.. أقعده المرض طريح الفراش.. بيته لا يغلق.. يعوده أهل الحي الكبير.. يبكي شوقا للمسجد...!

انتقل العم قاسم رحمه الله إلى جوار ربه.. صار مكانه في المسجد فارغا، لم يجرؤ أحد على الجلوس فيه.. غاب صوت عكازه.. وغاب هو عن الدنيا إلى الأبد.. لكن صدى عكازه ما يزال يرن في الأعماق.. ولا تزال خطواته تبصم الدروب.. ولا تزال سيرته على الألسن.. سيرة رجل محب محبوب تعلق قلبه ببيت الله...!

رحمه الله جل وعلا رحمة واسعة، وجعل خطواته تلك في ميزان حسناته...

خوف الدعاة على أنفسهم من الذنوب

روى ابن النجار عن أبي المظفر محمد بن علي بن البل الدوري،أنه أنشده لنفسه

يتوب على يدي قوم عصاة
أخافتهم من الباري ذنوب
وقلبي مظلم من طول ما قد
جنى، فأنا على يد من أتوب؟
كأني شمعة ما بين القوم
تضيء لهم ويحرقها اللهيب
كأني مخيط يكسو أناسا
وجسمي من ملابسه سليب

● سير أعلام النبلاء 22/ 76

مراعاة حال المعاتَب

قال الشاعر ابن شبل البغدادي:

وعلى قدر عقله فاعتب المرء
وحاذر برا يصير عقوقا
كم صديق بالعتب صار عدوا
وعدوا بالحلم صار صديقا

● موسوعة روائع الشعر العربي ج8 الوصايا والنصائح، ص.42

هل كانت العرب تطيل أم توجز؟

"قيل لأبى عمرو بن العلاء: أكانت العرب تطيل ؟
فقال: نعم لتبلغ،
قيل: أفكانت توجز ؟
قال: نعم، ليُحفظ عنها"،

● الخصائص لابن جني،تحقيق: محمد على النجار، ط3 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة جـ 1 ص 84.

التجارب عقل ثان

قالت الحكماء : التجارب عقل ثان، ودليل هاد، وأدب للدهر، فافهم عن الأيام أخبارها، فقد أوضَحَتْ لك آثارَها، واتَّعِظْ بما وعظك منها، وتأمَّلْ ما وَرَدَ عليك من أحوالها تأمُّلَ ذي فكرة منها، فإن الفكرة تدرأُ عنك عمى الغفلة، وتكشِفُ لك عن مستخفيات الأمور.

● لباب الآداب: لابن منقذ، ص.325

إن الحليم هو الأعز

أَبُنَيَّ لا تك - ما حييت - مماريا
ودع السفاهة إنها لا تنفع
لا تحملن ضغينة لقرابة
إن الضغينة للقرابة تقطع
لا تحسبن الحلم منك مذلة
إن الحليم هو الأعز الأمنع

● موسوعة روائع الشعر العربي ج8 الوصايا والنصائح، ص.36

بين بصر رجل وبصيرة امرأة

نظر رجل إلى امرأة عفيفة، فقالت له : يا هذا! غض بصرك عما ليس لك، تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك

● الحقائق والرقائق للمقري ص152

مصدر العجب والإحساس بالعظمة

إنما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه، ويتوهم المهانة من أبناء جنسه، فلذلك تراه مغمزا للعيون، مهمزا للظنون، " من أسر سريرة حسنة كساه الله رداءها".

● الحقائق والرقائق للمقري ص152

بين عبد الحميد وابن المقفع

روي أن عبد الحميد لقي ابنَ المقفع، فقال له: بلغني عنك شيء أكرهه. فقال : لا أبالي .
قال : ولم؟
قال : لأنه إن كان باطلا لم تقبله، وإن كان حقا عفوت عنه.

● لباب الآداب لابن منقذ، ص.340

ليس رئيس القوم من يحمل الحقد

قال شاعر يصف ما بينه وبين قومه من خلاف

وإن الذي بيني وبين أخي
وبين بني عمي لمختلف جداً
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن نهشوا عِرضي وفرت لهم عرضاً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

معاشرة الأشراف

من عاشر الأشراف عاشر مشرَّفا
ومعاشِرِ الأنذال غير مشرف
أو ما ترى الجلد الحقير مقَبَّلاً
بالثغر لما صار جلد المصحف

● موسوعة روائع الشعر العربي ج8 الوصايا والنصائح، ص.42

ما البلاغة؟

قال أبو هلال العسكري في تعريف البلاغة هي : كل ما تُبلِّغ به المعنى قلبَ السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"

● كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري ت على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار الفكر العربي، ص 16.

تقدير العلماء

قال أبو جعفر : سمعت يحيى بن جعفر يقول : لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل (يقصد البخاري) من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم.

● سير أعلام النبلاء 12 /418

ثلاثة حساد

قال يحي بن يونس: بلغني أن ثلاثة اجتمعوا،
فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك ؟
فقال : ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرا،
قال الثاني : أنت رجل صالح، ولكني ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط.
قال الثالث: ما في الأرض خير منكما! ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيرا قط!.

● الجامع للخطيب البغدادي (140)

تفريط المغاربة بعد الاستقلال في المحافظة على العربية

يقول العلامة المختار السوسي في سياق استغرابه من التهافت على اللغة الفرنسية وثقافتها والتفريط في اللغة العربية وحضارتها.
وأعظم ما نهتم له شيئان :

● أحدهما التفريط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب إلا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من أي شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فإن أبناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة.

● وثانيهما التفريط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلغة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع أنحاء بلاد العرب منذ أوائل القرن العاشر الهجري.

وليت شعري لماذا كنا نحرص على الاستقلال إن لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في أسس ديننا الحنيف؟ والمحافظة على هذه اللغة التي استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد.

ومعلوم ما للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. وأما أن يحافظ الأدارسة والسعديون والعلويون عليها فإن ذلك أمر طبيعي لأن الجالسين منهم على العرش عرب أقحاح. هكذا أصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع أن يتراجع إليه الأخلاف إلا بعد زمان نطلب الله أن لا يطول.

● المعسول للعلامة المختار السوسي

علمني وأوجز

قال الحسين بن محمد الفقيه: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : رحل رجل إلى عالم فقال : علمني وأوجز،
قال : لأُوجِزَنَّ لك، أما لآخرتك : فإن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه: قل لقومك: لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلت إليه الخراب
وأما لدنياك: فإن الشاعر يقول
ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
وكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا، فإن وثبت
يوما عليه بما لا يشتهي، وثبوا

● سير أعلام النبلاء 12/281/282

أربعة لا تُسْتَقَل

قيل : أربعة أشياء لا يُستقَل قليلُها: المرض، والنار، والدَّيْن، والعداوة.

● لباب الآداب لابن منقذ 46

كل واحدة خير من عشرة آلاف دينار

عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : قال لي أبي : إني أرى أمير المؤمنين (يعني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه) يدنيك دون أصحاب محمد ﷺ، فاحفظ عني ثلاثا: لا يجربن عليك كذبا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا تفشين له سرا، قال فقلت (أي الشعبي) : يا أبا العباس (كنية لابن عباس)! كل واحدة خير من ألف دينار، قال (يعني ابن عباس): كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف دينار

● لباب الآداب : أسامة بن منقذ، ص 15

هَلْ تُعَدُّ صفةُ "الجَمْعِ والإيجازِ" مَخْصوصَةً ببعضِ الأحاديثِ دونَ بعْضٍ؟

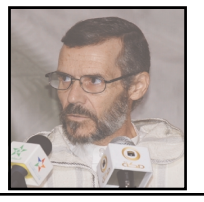

د. عبد الرحمان بودرع

إنّ الغرَضَ ممّا قالَهُ ﷺ في حَديثه : «أوتيتُ جَوامعَ الكَلِم» أنَّهُ مُكِّنَ مِنَ الأَلْفاظ المُخْتَصَرَة التي تَدُلُّ عَلى المَعاني الغَزيرَة، ومَنْ يُنْعِم النَّظَرَ في كَلامه ﷺ، يَجِدْ جُلَّ كَلماته جارِيةً هذا المَجْرَى أي مَجْرى الجَمْعِ والإيجازِ والاخْتِصار، فَالجَمْعُ صِفَةٌ راسِخَةٌ في أحاديثه ﷺ كُلِّها، طالَتْ أمْ قَصُرَتْ، ولِهذا «فإنّ النّاظرينَ في السّنّة النّبويّة الدّالّة على الأحكام الشّرْعيّة والحِكَم الأدَبيّة، لا تَزالُ المَعاني المُستَخْرَجةُ منها غَضّةً طَرِيّةً، على تَكرُّر الأعوامِ وتَطاوُلِ الأزمانِ، ومع ذلك فإنّهم ما أحاطوا بغايتِها ولا بَلَغوا نهايتَها، وهذا كَقَوْلِه ﷺ :

«لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ في الإسْلام»(1) ؛ فإنّ هذه الكلمةَ مشتملَةٌ على مَعانٍ شرْعيّةٍ وآداب حَكيمةٍ (...)، وقوله ﷺ :

«اَلخَراجُ بالضَّمان»(2)، فإنَّ تحْتَه أَسْرارًا فقْهيَّةً وبدائعَ علْميَّةً، تَشْتَمِلُ عَلَيْها كُتُبُ الفقْه، ومِن ثَمّ اتّسعَ نطاقُ الاجْتِهاد وعظُمت فوائدُه ؛ فحصلَ من هذا أنّ الإيجازَ من أعظمِ قواعدِ البلاغة ومن مُهمّات عُلومها»(3).

وذكَرَ عُلَماءُ الحَديث أيضًا أنّ مَعْنى "أُعْطيتُ جَوامعَ الكَلِم وفَواتحَه" القرآنُ أوكلُّ ما يُتوصّلُ به إلى استخراجِ المُغْلَقات، التي يَتعذّرُ الوصولُ إليها. و"اخْتُصِرَ لي الحَديثُ اخْتِصاراً فَلا يُهْلِكَنَّكُمُ المُتَهَوِّكونَ" أي الذين يَقَعون في الأمور بِغَيرِ رَوِيّة(4).

وأنّ النّبيَّ ﷺ، كانَ يُعجبُه «جَوامعُ الكَلِم»، ويخْتارُه على غَيرِه من الذِّكر؛ فَقَدْ كانَ ﷺ يُعْجبُه من الدّعاء جَوامعُه. فَفي "صَحيحِ ابنِ حِبّانَ"(5) : «عَن عائشةَ قالَت: كانَ رَسول الله (يُعجبُه الجَوامعُ من الدّعاء». وفيه أيضًا: «ذكرُ ما يجبُ أن يكونَ قَصدُ المرءِ في جَوامعِ دعائه وبيانِ أحوالِه له... وذكْر الأمرِ للمرءِ أن يسألَ ربَّه جلَّ وعلا جَوامعَ الخيرِ ويتعوذَ به من جَوامعِ الشّرِّ. وفي سنن أبي داودَ، عن عائشةَ قالَت: كانَ النّبيّ ﷺ يعجبُه الجوامعُ من الدّعاء، ويدعُ ما بين ذلك، وخرّجه البزّار وغيرُه من حديث عائشةَ رضيَ الله عنها أيضا أنّ النّبيّ ﷺ قال لها يا عائشة: «عَلَيكِ بِجَوامعِ الدّعاء : اللّهُمّ إنّي أسْألُكَ منَ الخَيْرِ كلّه عاجله وآجله ما عَلِمْتُ منْه وما لَمْ أعْلَمْ، وأعوذُ بكَ منَ الشّرّ كلّه عاجله وآجله ما عَلِمْتُ منْه وما لَمْ أعْلَمْ، اللّهمَّ إنّي أسألُكَ مِنْ خَيرِ ما سَألَكَ منْه مُحَمَّدٌ عَبدُك ونَبيُّك، وأعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما عاذَ منْه عَبْدُكَ ونَبيُّك، اللّهمّ إنّي أسألُكَ الجَنّةَ وما قَرّبَ إلَيْها منْ قَولٍ وعَملٍ، وأعوذُ بكَ منَ النّارِ وما قَرّبَ إلَيْها من قَولٍ وعَملٍ، وأسْألكَ ما قَضيتَ لي منْ قَضاءٍ أنْ تَجعلَ عاقبتَه رشدًا». وخَرّجَه الإمامُ أحْمَدُ وابنُ ماجَةَ وابْنُ حبّان في صَحيحه والحاكمُ(6)، وخرّجه الطّبرانيُّ وغيرُه من حديث أمِّ سَلَمَةَ أنّ النّبيَّ ﷺ كانَ يَقولُ في دُعاءٍ لَه طويلٍ : «اللّهمَّ إنّي أسألكَ فَواتحَ الخَيرِ وخَواتمَه وجَوامعَه وأوّلَه وآخرَه وظاهرَه وباطنَه». وفي المُسْنَد عَن ابنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قالَ : "إنَّ رَسولَ الله ﷺ علمَ مفاتحَ الخَيرِ وجَوامعَه أوجَوامعَ الخَيرِ وفَواتحَه وخَواتمَه، وإنْ كنّا لا نَدري ما نَقول في صَلاتنا حَتّى علَّمَنا".

ومنَ الأدْعيَة الجامعَة أيْضًا الدُّعاءُ الذي أوْرَدَه الإمامُ مُسْلِمٌ في صَحيحه، في باب "التّسْبيح أوّلَ النّهارِ وعندَ النّوم" قالَ : (...) عَن كُرَيْبٍ عَن ابنِ عبّاسٍ عَنْ جُوَيْرِيَةَ أنّ النّبيَّ ﷺ خَرَجَ من عندِها بُكرةَ حينَ صلّى الصّبحَ وهي في مَسْجدِها، ثمّ رَجعَ بَعدَ أنْ أضْحى وهي جالسةٌ فقالَ : ما زلتِ على الحالِ التي فارقْتُك عَليها؟ قالت : نَعمْ، قالَ النّبيُّ ﷺ : «لَقدْ قُلتُ بَعدَك أرْبعَ كَلماتٍ ثَلاثَ مَرات، لو وُزِنَت بما قلت منذُ اليوم لَوَزَنَتْهُنَّ: "سُبْحانَ الله وبحَمْده عَدَدَ خَلْقه ورضا نفسه وزِنَةَ عَرْشه ومِدادَ كَلماته"»(7).

ففي ما قالَه النبيّ ﷺ تفضيلٌ لـ " سُبْحانَ الله وبحَمْده عَدَدَ خَلْقه ورضا نفسه وزِنَةَ عَرْشه ومِدادَ كَلماته" على مجرّد الذّكْر بـ"سُبحانَ الله" أضعافاً مُضاعَفَة، فما يقومُ بقلْبِ الذّاكرِ بالذّكرِ الجامعِ أعظمُ ممّا يقومُ بقلبِ الذّاكرِ بالذّكْرِ المُفْرَد، وهذا ما يُسمّى بـ"الذّكْرِ المُضاعَف" وهوأعظمُ ثناءً من "الذّكْرِ المُفْرَد" وأفضلُ منه(8).

6- هَلْ تُعَدُّ صِفَةُ " الإيجازِ والجَمْعِ في الْكَلِمِ" مَخصوصَةً بالاخْتِصارِ ؟:

ليسَت صِفةُ "الإيجازِ والجَمْعِ في الْكَلِمِ" مخصوصَةً بالاخْتِصارِ، وما يَتّصلُ بذلكَ من حذْفٍ وتقْديرٍ وإجمالٍ(9)، ولكنَّها تعُمُّ كلَّ الجوانبِ البلاغيَّة التي امتازَ بها البَيانُ النّبويُّ الكريمُ، وتعمُّ جوانبَ الفصاحَة التي اختصَّ بها النّبيُّ ﷺ «فَلَيْسَ مَعْنى الإيجازِ والْكَلِمَة الجَامعَة... مَقْصورًا عَلى ضَغْطِ الْفِكْرَة الجُزْئيَّة في اللَّفْظ الْقَليل، بَلْ يَتَعَدّاهُ إلى الإشارَة بالْكَلِمَة إلى مَجْموعَة كُبْرى منَ الْمبادئ التي تَنْتَظِمُ فَنًّا أوْ علْمًا بأكْمَله...»(10)، مَعَ العلْمِ بأنّ هذه الكَلِمَةَ الجامعَةَ المُسْتَوْعِبَةَ للْمَبادئ الكُلّيّة، ما كانَتْ لتَمْتازَ بهذه الصِّفَة لَوْلا حُسْنُ اخْتيارها منْ بَيْن غيْرها، وجَمالُها البَلاغيُّ، وما تَحْمِلُه دلالَتُها منْ ظلالٍ وامْتداد.

فالأصْلُ في الحَديث النّبويِّ كلِّه أنّه من جَوامعِ الكَلِم، وأنّ ألفاظَه تَدُلُّ عَلى مَعانيه وزِيادَة، وتَخْلوألفاظُه من كُلِّ حَشْوٍ وزِيادة، وتُغْني السّائلَ عن الاسْتزادَة.

ذلكَ أنّ كلَّ حديثٍ من أحاديث النَّبيِّ ﷺ يُمكنُ -في الغالبِ الأعمِّ- أنْ يُسْتَنْبَطَ منه حكمٌ شرعيٌّ أوأكْثَرُ ؛ لأنّ المُتكلِّمَ بها ﷺ أوتيَ جَوامعَ الكَلِم. وقدْ تَحدَّثَ العُلَماءُ عَنْ حُكْم اخْتصارِ الحَديث الواحد والاقْتصارِ عَلى بعْض ألْفاظه، وهَلْ يَجوزُ ذلكَ، أويَنْبَغي الإمْساكُ عَنْه، خَشْيَةَ البَتْرِ أوالتَّغْيير أوالتَّحْريف أوالتَّصحيف، فذَهَبوا إلى عَدَمِ جَوازِ اخْتصاره، إذا كانَ بعْضُه مُتَّصلاً ببَعْض، لما يَتَرَتَّبُ عَلى الاخْتصارِ منْ تَحْريف، ومنْهُم الخَطيبُ البَغْداديّ، الذي قالَ : «والذي نَخْتارُه في ذلكَ أنّه إن كانَ فيما حُذِفَ من الخَبرِ مَعْرِفةُ حُكمِ شَرْعيٍّ وأمْرٍ لا يَتمُّ التَّعبُّدُ (...) إلاّ بروايته عَلى وَجهه فإنّه يَجبُ نَقلُه عَلى تَمامه ويَحرُم حَذفُه ؛ لأنّ القَصدَ بالخَبرِ لا يَتمّ إلا به، فَلا فَرقَ بَيْنَ أنْ يَكونَ ذلكَ تَركاً لنَقلِ العبادَة، كَنَقلِ بَعض أفعالِ الصَّلاة أو تَركاً لنَقلِ فَرضٍ آخَرَ هُوَ الشَّرطُ في صحَّة العبادَة، كَترك نَقلِ وُجوبِ الطَّهارة ونَحوها، وعَلى هذا الوَجه يُحْمَلُ قَولُ مَن قالَ لا يَحلُّ اخْتصارُ الحَديث»(11).

فالحَديثُ الواحدُ يَنْبَغي أخْذُه تامّاً برُمَّته ؛ لأنّه بناءٌ بَلاغيٌّ مُتَماسكٌ ونظامٌ تَشْريعيٌّ مُتَكاملٌ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضاً، ويُسْتَنْبَطُ منْه ما لا يَكادُ يَنْحَصِرُ من القَواعدِ والأحْكام.

هَلْ تَقِفُ صِفَةُ "الجَمْعِ والإيجازِ" عِنْدَ حُدودِ النَّظْمِ البَليغِ ولا تَعْدوه؟

لا تَقِفُ صِفَةُ "الجَمْعِ والإيجازِ" عندَ حُدودِ النَّظْمِ البَليغِ والصُّوَرِ البديعة، ولكنَّها تتعدّى ذلك إلى المَعاني أيْضًا12 ؛ لأنّ كلّ حَديثٍ من الأحاديث الصّحيحة يشتملُ على فوائدَ كثيرَةٍ ومَعانيَ مُركّزة. وسَيَمرّ بنا قَريباً إنْ شاءَ الله -في الحَديث عنْ مَنْهَجِ إفْراد الحَديث الواحد بالتَّصْنيف - أنّ عُلَماءَ الفقه والدِّرايةَ بالحَديث اسْتَنْبَطوا أحكامًا كَثيرَةً من الحَديث الواحد، بلْ صَنّفوا الكتبَ المُفصّلةَ في الحَديث الواحد؛ ذلك أنّ أحاديثَ النّبيِّ ﷺ الجامعَةَ لم تَتْرُكْ مَعْنى من المَعاني إلاّ وفَصّلَتْ فيه القَولَ وبَيّنَتْ فيه الحُكمَ.

فصفةُ الجَمْعِ في ما صَحَّ من كَلِمِ الرّسولِ ﷺ، تَصْدُقُ على تَراكيبِ الحَديث وصُوَرِه وهَيْآتِ بنائه، مثْلما تَصْدقُ عَلى مَعانيه وقَضاياهُ وأحْكامه.

1- عنْ أبي سَعيد الخُدْريّ: سُنَن البَيْهَقيّ الْكُبْرى: 6/69: لأبي بَكْرٍ أَحْمَد بْن الحُسَيْن الْبَيْهَقيّ (ت.458) تَحْ. مُحَمَّد عَبْد الْقادر عَطا، مَكْتَبَةُ دار الْبان، مَكّة .1994-1414

2- عن عائشةَ رضي الله عنها : (صَحيح ابْن حبّان بتَرْتيب ابْن بلبان: 11/298)، مراجَعَة الشّيْخ شُعَيْب الأَرْناؤوط، بَيْروت .1993-1414

3- (كتاب الطِّراز المُتَضَمّن لأسْرار البَلاغة وعُلوم حقائق الإعجاز: 2/90-89) ليحْيى بْن حمزةَ العَلَويّ اليَمَنيّ (ت.749) مُراجعة جَماعة من العلماء. دار الكُتب العلميّة، بيروت .1982-1402

4- فيض القَدير: 2/568 عبد الرّؤوف المناوي، المكتبة التّجاريى الكبرى، مصر، ط.1 / ..1356

5- صحيح ابْن حبّان: 3/150-149، مراجعة الشّيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت، .1993-1414

6- جامعُ العُلوم والحِكَم: 1/453، لأبي الفَرَج عبد الرّحمن بن رجب الحَنبليّ (ت.795)، تح. د. يوسف البقاعي، المكتبة العصرية للطّباعة والنّشر، بيروت، ط.3 / 2000-1420.

7- صحيح مسلم: 4/2090.

8- (انظر التّفصيلَ في]المَنار المُنيف في الصّحيح والضّعيف: 35) للإمام شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر الحنبليّ المعروف بابن قيّم الجوزيّة (751هـ)، تح. عبد الفتّاح أبوغدّة، نشر مكتب المطبوعات الإسلاميّة بحلَب، طبع وإخراج دار البشائر الإسلاميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط.6، 1414هـ - 1994م.

9- هذا على الرّغم من أنّ الإيجازَ أهمُّ مُكَوِّنات "جَوامعِ الكَلِم"، على ما ذكَرَه العلَماءُ من أنّ النّبيَّ ﷺ اخْتُصِرَ لَهُ الكلامُ اخْتِصارًا، وذلك من جوامعِ الكَلِم، وأنّ كلّ كلمَةٍ يسيرَةٍ جَمَعَتْ مَعانيَ كَثيرَةً فهي من جَوامعِ الكَلِم. (الإشارَةُ إلى الإيجازِ في بَعْضِ أنْواعِ المَجازِ : 2) لأبي محمّد عزّ الدّين عبد العزيز بن عبد السّلام الشّافعيّ(ت.660) طبعَ بدارِ الطّباعَة العامرَة بمصرْ في رمضان 1313هـ.

10- اَلحَديثُ النَّبَويُّ الشَّريفُ منَ الْوِجْهَة الْبَلاغيَّة: 443، د. عزّ الدّين كَمال، دار اقْرأ، بيروت.

11- الكفايَةُ في علْم الرِّوايَة: 191-190، لأبي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْن عَليِّ بْن ثابت الخَطيب الْبَغْداديّ (ت.463)، تح. أبوعَبْد الله السّورقي وإبْراهيم حَمْدي المدني، المَكْتَبَة العلْميَّة، المَدينَةُ المُنَوَّرَة.

12- انْظر خَصائصَ مَعاني الحديث النّبويّ كتابَ (الحَديث النَّبَويّ، مُصْطَلَحُهُ، بَلاغَته، كُتُبُه:59) مَحمّد لطفي الصّبّاغ، المكتب الإسلامي، ط.4/ 1981-1401..

مقاصد اللباس 7

د. حسن الآمراني

عود على بدء: المقاس 38 :

عنيت فاطمة المرنيسي في كتبها كثيرا بقضية المرأة، ولا سيما بوضعية المرأة في الشرق، متحدثة عن شهرزاد، وعن "الحريم" و"الحريم السياسي"، وباعتبارها عالمة اجتماع كانت تمزج الوقائع التاريخية بالواقع الاجتماعي المعاصر، وتجعل لسيرتها الخاصة نصيبا. وقد انتهت إلى أن في الغرب المعاصر أيضا "حريما" خطيرا، حيث يراد للمرأة ألا تكون سلعة فحسب، بل أن يتدخل الرجل في تفاصيل حياتها الجزئية، ويرسم لها الطريق الذي تسلكه، واللباس الذي تلبسه، والزينة التي تتزين بها. وقد صدمت عندما كانت في أمريكا، تبحث عن لباس بالمقاس الذي يناسبها، فلم تجد. دخلت عدداً من دور الأزياء، ودكاكين الملابس، وكل محل تتصور أنها تعثر فيه على بغيتها...هذا مقاس غير موجود...هناك مقاسات نموذجية، وعلى المرأة أن تمارس الرياضة، أو أن تقوم بجراحة تجميلية، من أجل أن تحول جسدها ليناسب ما تعرضه دور الأزياء، لا أن تتحول دور الأزياء إلى العناية بشريحة خاصة من الناس...فالمرأة الطويلة، أو المرأة البدينة، لا نصيب لها من تلك الدور. ولا طمع لها في الملابس الجاهزة... **مأساة من مآسي الحضارة الغربية المعاصرة التي لم تكتف بأن تختار للمرأة ما تلبسه، من أشكال وألوان، فتكشف عن مواضع الفتنة فيها، من الصدر أو الظهر أو الساقين أو الذراعين، بل صارت تتحكم في حجم اللباس...**

ونظرا للأهمية التي توصلت إليها هذه الباحثة، فإننا ننقل هنا ملخصا لفقرات من كتابها: (الحريم الأوربي)، من الفصل الذي جعلت عنوانه: (المقاس 38،حريم النساء الغربيات)

تقول فاطمة المرنيسي:

(فجأة أضاء لي لغز الحريم الأوربي، في ذلك الهيكل الاستهلاكي المتمثل في متجر نيويوركي كبير، عندما أعلنت البائعة أنها لا تملك لي تنورة مناسبة لأن كتفي عريضتان جدا.

"في كل هذا المتجر، الذي يفوق بمائة مرة بازار إستنبول، لا توجد تنورة تناسبني؟ لا شك أنك تمزحين!".

شككت في أن تكون هذه الشخصية المتأنقة كسولة.هذا أمر يمكنني فهمه. ولكنها تابعت في إلحاح:"أنت ضخمة جدا..."

- أجبتها وقد صوبت إليها نظراتي: "أنا ضخمة جدا قياسا إلى ماذا؟" لقد شعرت أن بيني وبينها خندقا ثقافيا حقيقيا.

وتابعت، متشجعة بنظراتي المتسائلة ، وكأن صوتها يحمل فتوى: "قياسا إلى المقاس 38.إن مقاس 36 و 38 هو المقاس الأكثر تداولا، أو لنقل إنه المقاس المثالي.المقاسات الخارجة عن النموذج، ولاسيما مثل مقاسك، لا توجد إلا في متاجر متخصصة."

إنها المرة الأولى التي أسمع فيها هراء كهذا.

"من قال إن الجميع يجب أن يكون مقاسه 38؟"، قلت ذلك بشيء من السخرية، متعمدة تجاهل الرقم 36.

نظرت إلي البائعة في شيء من الاستغراب وتابعت قائلة:"إن المقاس المثالي هو ما نجد في كل مكان، في المتاجر الكبرى، وفي التلفزيون، وفي الإشهارات...كل المتاجر تلتزم بالنموذج، ولو أنهم يبيعون المقاسات التي بين 46 ـ 48، إذن لأصابهم الإفلاس".

سألتني: "من أي بلد أنت؟".في تلك اللحظة انتبهت إلى أنها في مثل عمري تقريبا،هي أقرب إلى الستين منها إلى الخمسين.غير أن لجسمها نحافة صبية في السادسة عشرة من عمرها..كأنها تلميذة..

أجبتها:"أنا من بلد ليس للثياب فيها مقاس محدد.أشتري القماش، ثم إن الخياطة أو العاملة المجاورة تخيط لي التنورة أو الجلابة التي أريد. لا نعرف مقاسي، لا هي ولا أنا. في المغرب، لا أحد يهتم بذلك، ما دمت أدفع الضرائب.بالفعل، لا أستطيع أن أدلك على مقاسي.إنني أجهل ذلك تماما." سألتني:"أتريدين القول ببساطة إنك لا تَزِنين نفسك؟هنا، فقد عدد من النساء عملهن بسبب ذلك".

لقد كانت تمزح،ولكن ملاحظتها كانت تخفي حقيقة مرعبة. لقد كان سوط الحقيقة يجلدني: إن المقاس 38 يمثل قيدا أشرس من أثخن نقاب...

إن الأسلحة التي يستعملها الرجال ضد النساء في الغرب غير مرئية..إنهم لا يلزمون أي امرأة على التشكل بالصورة المثالية، ولا أن تلبس المقاس 38 برصد الشرطة خلفهن، كما يصنع آيات الله حين يرصدن اللائي ينزعن الشادور. إنهم لا ينبسون ببنت شفة.غير أنه في الوقت الذي تريدين اقتناء تنورة على مقاسك يصرحون بأنك وحش. إنهم يتركونك تجترين مرارتك وحدك. يرغمونك على تحليل وضعيتك، لتنتهي إلى الخلاصة التي يريدون: إن الشيخوخة فعل مدان."إذن، لقد انتهيت إلى أن أصبح دينصورا منقرضا".حقا، لم أشعر أنني قبيحة فقط، بل غير موجودة،في متجر (الموضة) هذا، حيث يدفع بي منكباي العريضان إلى الخروج.كانت الأضواء مسلطة على المقاس 38، وأنا، المرأة الناضجة، كنت ممحوة. لقد انحرفت مرغمة نحو العدم.لقد صار هذا الحريم منقوشا في اللحم، كأن السنوات الهاربة سجلته بالحديد الأحمر.إننا لا نستطيع الإفلات منه....

إن العنف الذي يؤسس الحريم الغربي لا يُرى إلا بصورة خفيفة، لأنه يتقنع تحت مقاييس جمالية.إنه كأقدام الصينيات: لقد قرر رجال الصين أن أجمل النساء هن اللواتي يملكن أصغر الأقدام، أقدام الأطفال. ومن هنا صارت الفتيات يقيدن أقدامهن من أجل الحفاظ على المقاس المثالي. كن ينتعلن الحديد.وكذلك نساء الغرب، صار عليهن العناية برقة مناكبهن من أجل إثارة إعجاب الرجال.إن النساء المسلمات يصمن شهرا واحدا في العام.أما الغربيات فيصمن اثني عشر شهرا في السنة.يا للرعب!!قلت ذلك لنفسي وأنا أتأمل كل أولئك الأمريكيات اللائي حرصن على أن يكون مظهرهن مظهر الصبايا الصغيرات.

إن الإنسان الغربي يملي على المرأة القواعد التي تتحكم في هيئتها البدنية. إنه يراقب كل صناعة (الموضة)..وفي الحقيقة، إن الغرب هو المنطقة الوحيدة في العالم حيث لباس المرأة صناعة رجولية خالصة... إن ذلك ما يسميه بورديو: "العنف الرمزي"...

قلت في نفسي وأنا في الطائرة التي كانت تعود بي إلى الدار البيضاء: "حمدا لك يا رب على أن أنقذتني من حريم المقاس38").(1)

وكذلك سيكون من الطبيعي الدعوة إلى (عولمة اللباس)، بعد (عولمة الاقتصاد) و(عولمة القيم)...وليست العولمة غير الأمركة على وجه التحديد، أو هي التغريب في أحسن الأحوال، لذلك **فلا مجال مع العولمة لخصائص الشعوب وعاداتها وقيمها وثقافتها، ومن تلك الثقافة ثقافة الملابس، ومن هنا فإن ظاهرة (الإسلاموفوبيا) تتخذ عدة صور منها: (الحجاب فوبيا)**...وهكذا تنقل لنا وسائل الإعلام باستمرار وقائع تدل على (الحجاب فوبيا)... وفيما يلي واقعتان تدلان على (الحجاب فوبيا) من الوقائع التي حدثت أخيرا: الواقعة الأولى تتعلق بمروة الشربيني، وقد حدثت في ألمانيا.

1- من كتاب (الحريم الأوربي):صفحات من الفصل الذي عنوانه:المقاس38،حريم النساء الغربيات.

LE HAREM FATEMA: EUROPEEN MERNISSI
20 Editions le Fennec

إلى أن نلتقي

نظرات في إصلاح التعليم(1)

كلما أثير موضوع التعليم في أي زمان ومكان، إلا وتم الحديث عن أن التعليم هو قاطرة التنمية البشرية، إذ لابد لأي مجتمع أراد إقْلاعا اقتصاديا حقيقيا، ونموا متيناً مستمراً أن يهتم بالتعليم.

ونظراً لتكرار هذا الحديث الذي جُعل شعاراً كلّما أُثير موضوع التعليم، بدا -كما قال أحد الباحثين- وكأن «مفهوم التنمية في معظم أنحاء البلاد العربية قد اقتصر على استيراد اللفظ من جملة مستورداته المتنامية من الخارج، أما المضمون فقد ظل في حكم الأمنية».

غير أن هذا الخلل بين الشعار وبين التطبيق في بلادنا العربية، وأيضا في كثير من البلدان المختلفة لا يلغي الأصل الذي لا مِراء فيه، والذي يتجلى في دور التعليم في التنمية البَشرية والإقلاع الاقتصادي.

ولقد سمعت من بعض الأساتذة الجامعيين المصريين الكبار سنّا وعِلْما، أن وفداً رسميا يابَانيا كان قد زار مصر خلال سَنة 1961م، بهدف الاستفادة من التجربة المصرية في التعليم وخاصة على مستوى الجامعة والبحث العلمي. ويبدو أن وفود اليابان الرسمية قد حَلّت في أكثر من مكان من بلدان العالم سواء في ذلك الوقت أو قبله أو حتى بعده، وذلك بغرض الاستفادة من التجارب العالمية، من أجل النهوض بالتعليم، وجعله فعلاً قاطرة للتنمية البشرية في بلادهم.

ولنا أن ننظر الآن ونتساءل أين وصلت اليابان بتعليمها بعد أن استفادت من تجارب الآخرين بما في ذلك التجربة المصرية، وأين وصل هؤلاء الآخرون بتعليمهم بما في ذلك مصر، التي زارها الوفد الياباني قبل خمسين عاماً؟. مع أن اليابان كما هو معلوم لا تتجاوز مساحتها 380 ألف كلم مربع تغطي الجبال البركانية 85٪ منها، مع غياب شبه كامل لأي نوع من أنواع الثروات والموارد الطبيعية.

ولذلك يقال إن أحد المسؤولين اليابانيين سُئل عن أسباب تقدم بلاده فأجاب «بدأْنا بما انتهى إليه الآخرون، وتعلمنا من أخطائهم، وأعطينا المعلم/الأستاذ حصانة الديبلوماسي وراتب وزير».

نعم لقد استفاد اليابانيون من تجارب الآخرين، وتعلموا من أخطائهم، وأعطوا للمعلم المربي المكانة اللائقة به : راتب محترَم يُوفر له حياة مسقرة كريمة، لكن بعد انتقاء واختيار دقيقين، إذ لا يلج مجال وظيفة التعليم كل من هبّ ودبّ، حيث تدل الاحصاءات أن من بين خمسة يابانيين يتقدمون لمهنة التدريس يفوز واحد منهم فقط، لكن بعد اجتياز اختبارات وامتحانات تربوية وتعليمية دقيقة وشاقة كتابية وشفوية، ومن ثم يكون التنافس شديداً.

فماذا فعلنا نحن بمعلمينا وأساتذتنا ومربينا، وبتعليمنا جملة وتفصيلا؟

ماذا فعنا ببرامجنا التعليمية وتكويننا التربوي و بحثنا العلمي ليكون التعليم في بلادنا فعلا قاطرة التنمية البشرية والإقلاع الاقتصادي؟

ماذا فعلنا بتعليمنا ونحن أمة اقرأ، التي رُسِم لها المنهج في ذلك منذ أن نزلت أول آيةَ تحدد فيها مِنهم القراءة على اسم الله الخالق الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم؟ ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق....﴾؟

ماذا فعلنا بهذا المنهج التربوي الروحي السامي، الذي تضع فيه الملائكة أجنحتها لطالب العلم رِضًى بما يصنع، والذي يكون فيه العلماء ورثة الأنبياء؟

د. عبد الرحيم الرحموني